

تأثير الأدب الفارسي في اللغة العربية و آدابها

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

دلال عباس^١

الملخص

ما من أمتين تباينت وتخالفتا في الدم واللغة والبيئة الطبيعية والاجتماعية، ثم تدانى أدبهما واقترب بعضه من بعض حتى كاد يكون من حيث الصياغة والمنحى واحداً إلى الحد الذي يتعذر على أحد أن يميز بين أدب وآخر لولا اللغة الدالة عليه، كالأمتين العربية والفارسية، وعلى الرغم من أن الاختلاف في الدم واللغة وطبيعة النشأة بين الأمتين العربية والفارسية لا بد وأن يترك أكبر أثر من الاختلاف في طبيعة أدب الأمتين وصياغته ومنحاه، كان الأدب الفارسي الآري أقرب إلى الأدب العربي السامي من الآداب الأخرى المكتوبة باللغات السامية. حتى قبل الإسلام تسنى للغة العربية أن تعرف شيئاً غير قليل من المعاني التي تسربت إليها من الفارسية، وورد الكثير منها بألفاظها الفارسية في عدد كثير من الأشعار عند شعراء الجاهلية بدواً وحضراً.

أما بعد الإسلام فيمكننا القول إن اللغة الفارسية تطورت باعتماد الإيرانيين الدين الإسلامي الحنيف متأثرة بلغة القرآن الكريم، وكُتبت بالخط العربي، وإذا كان الإسلام قد حرر الإيرانيين من الحكومات المستبدة، فإن إيران قد قدمت

١. استاذة الدراسات العليا و الأدب المقارن و اللغة الفارسيه، الجامعة اللبنانية. dalal.abbas@gmail.com

خدمات جلييلة إلى الإسلام، فقد تفتّحت العبريّة الإيرانيّة خلال المرحلة الإسلاميّة في مختلف الميادين العلميّة والأدبيّة واللغويّة، والفلسفيّة وعلم الرياضيات والطبّ والفلك والعلوم الدينيّة، وإذا كان الإيرانيون قد ألفوا كتبهم باللغة العربيّة، فقد طعموها بلغتهم، وأنتجوا باللغة المطعّمة هذه ودوتوا بها كتبهم في المجالات المختلفة، وهنالك عدد لا يُحصى عدّه من الإيرانيين ممن أبدعوا وبرعوا وكتبوا باللغة العربيّة علماً وشعراً ونثراً وآلّفوا في علوم اللغة العربيّة كالصرف والنحو والبلاغة وغيرها.

أمّا في الأدب فقد تبادل الأدبان العربيّ والفارسيّ المواضيع والأساليب، وأعطت الفارسيّة الأدب العربيّ عمق المعنى وجمال التصوير وعمق الحكمة واتّسع أفق الرؤيا. وأعطت العربيّة الفارسيّة العروض والبيدع والدين بمنازعه وأفكاره.

والجدير ذكره أنّ تيار الترجمة من الفارسيّة كان من أقوى التيارات التي رفدت الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ولهذا أسباب كثيرة أبرزها ذلك النفوذ السياسيّ الذي كان للفرس في الدولة العبّاسيّة، والذي تبعه امتزاج في الجنس واللغة والثقافة والحياة الاجتماعيّة بين العرب والفرس لم يتهيأ له أن يتمّ بين العرب وأمة أخرى من الأمم التي دخلت في دين الله. الكلمات المفتاحيّة: العرب، الإيرانيون، الأدب، اللغة العربيّة، اللغة الفارسيّة، التآثر والتأثير.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

صلات الفرس والعرب قبل الإسلام

إنّ الحدود الجغرافيّة بين إيران والعرب أكثر من ألف كيلومتر، وهاتان الأمتان كانتا جارتين منذ آلاف السنين، ولا تزالان، وقد ربطت بينهما أواصر المحبّة والودّ وحسن الجوار قبل الدين الإسلاميّ الحنيف وبعده، وخير شاهد على ما نقول أثر الصداقة الفارسيّة العربيّة في الأدب العربيّ قبل الإسلام.

بدأت هذه العلاقة حين هاجم الأحباش جنوبى الجزيرة العربية، فدافع الفرس عن العرب هنالك، حيث كانت تربطهم أواصر المودة بقبيلة حمير، وذكر المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" شعراً لأحد الشعراء الفرس الذين كانوا ينظمون أشعارهم باللغة العربية يفتخر فيه بأن الفرس هم الذين أنقذوا حميراً من بليّة السودان^١. كما أورد المسعودى قصيدة للبحترى يثنى فيها على الفرس لدفاعهم عن العرب فى وجه الأحباش^٢.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

وذكرت التواريخ أسماء بعض الشعراء والخطباء العرب الذين كانت تربطهم أواصر المحبة بالفرس قبل الإسلام، منهم غيلان بن سلمة الثقفى والأعشى الشاعر المشهور، وقد تسربت إلى اللغة العربية من الفارسية معان عديدة بألفاظها الفارسية، ونلاحظ ذلك فى أشعار عدد من الشعراء العرب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ورد فى شعر الأعشى من كلمات فارسية مثل گلستان وبنفشه وسوسن وشاه اسبرم وياسمين ونرگس^٣. وفى شعر امرى القيس وردت كلمة الهربدى (هيربد) بمعنى حارس النار...، ووردت فى النص القرآنى كذلك، ألفاظ فارسية معربة.

٦٥

بعد معركة القادسية فى العام ٦٣٥م، أسلمت أعداد كبيرة من الإيرانيين بدوافع مختلفة، وتعلم هؤلاء اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم وإقامة الصلوات، وفى الوقت نفسه نزح كثير من القبائل العربية إلى بلاد فارس واستوطنوها، وهاجر كثير من الفرس المسلمين وغير المسلمين إلى حواضر العالم الإسلامى وسكنوا العرب، أو كانوا يجيئون إلى الجزيرة العربية تجاراً أو حجاً أو زواراً أو طلاباً حاجات لدى الخلفاء، وتحولت فارس إلى ولاية إسلامية عربية اللسان، تطبق أنظمة الدولة العربية الإسلامية، ويعود إلى الخليفة أمر تعيين الولاة والقضاة والجبابة فى تلك الربوع.. وفى العصر الأموى على الرغم من سياسة التمييز العرقى التى اعتمدها الساسة الأمويون فى معاملة المسلمين من غير العرب، نرى أعداداً من الفرس تسنموا مناصب مهمة فى الدولة.

١. المسعودى، مروج الذهب، شارل بلا، بيروت ١٩٦٦م، مج ٢، ص ٢٠٥.

٢. م. ن، ص ٢٠٦.

٣. المجانى فى الأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لا تا، مج ١، ص ٢٢٧ وما بعدها.

إنما يبقى الدور الأهمّ الذي قام به الفرس، وما اتَّفَق عليه الباحثون والمؤرِّخون، هو الدور الذي أدّوه في نجاح الثورة التي أسقطت الدولة الأمويّة، وأدّت إلى قيام بني العبّاس وكان لا بدّ لهؤلاء من أن يشاركوا في بناء الدولة التي وضعوا أساسها، وأظهروها إلى الوجود، والتي كانوا يعدّون غيابها حقاً ضائعاً، وطبيعيّ أن يُسهموا إلى حدّ كبير في وضع الخطط والمبادئ التي ستنتهجها، وأن يضعوا الصبغة الفارسيّة الساسانيّة على كثير من مؤسّساتها وتنظيماتها الإداريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وساعدهم على ذلك نقل عاصمة الخلافة إلى بغداد القريبة من فارس، وفضلاً عن أن الجنّد الخراسانيّ كان يشكّل أحد جناحيّ جنّد الخلافة في ذلك العصر، كان كثير من الفرس يتولّى مناصب قياديّة في الجيش العبّاسيّ وكان أكثر وزراء هذه الدولة من الفرس، وكذلك استأثر من كان منهم يجيد العربيّة والبهلويّة بمنصب الكتابة، وكفى أن نُشير هنا إلى أسماء عبد الله بن المقفّع، وسهل بن هارون، وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة الصوليّ... وقد بلغ النفوذ السياسيّ الفارسيّ في دولة بني العبّاس حدّاً جعل الجاحظ يقول "دولة بني العبّاس أعجميّة خراسانيّة، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة".^١

بژوهش نامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٤٤

وجدّ من العوامل في العصر العبّاسيّ ما جعل الترجمة تزدهر وتنمو، فكان للكاتب المترجم من الفارسيّة أثر عظيم في الثقافة العربيّة والإسلاميّة. فلما اتصل العرب بالفرس ترجم بعض الفرس باللغة العربيّة كتباً شتى في العلوم والتاريخ والسير والموسيقى والأخلاق ونظام الحكم، وكان بعض الكتب المترجمة يونانيّ الأصل، وبعضها فارسيّ الأصل، لكن الذي يعنينا هنا هو النوع الثاني. ولقد بدأت ترجمة التاريخ في عهد مبكر، لحاجة الخلفاء إلى معرفة نظم الحكم الفارسيّ وأساليبه، فقد كان في مكتبة هشام ابن عبد الملك بن مروان كتاب في تاريخ الفرس وسياستهم، تُرجم من الفارسيّة بالعربيّة.^٢

١. البيان والتبيين، مج ٣، ص ٢٠٦.

٢. تراث فارس ٩٢، ترجمة الدكتور محمد كفاي وزملائه.

وكان الوزراء البارزون في العصر العباسيّ فرسًا، ولكنهم برعوا في اللغة العربيّة والأدب العربيّ، فجدّوا في نشر الثقافة الفارسيّة ومراجعتها بأدب العرب، وربما كان من بواعثهم على ذلك أنّهم أرادوا مباهاة العرب بما لديهم من ثقافة وأدب. وقد اشتهر البرامكة بتشجيعهم على نشر الثقافة الفارسيّة بالمال والتقريب، إذ أوصاهم والدّهم يحيى بن خالد بقوله:

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

"لا بدّ لكم من كتاب وعمّال وأعوان، فاستعينوا بالأشرف، وإياكم وسفلة الناس، فإنّ النعمة على الأشرف أبقى، وهى بهم أحسن، والمعروف عندهم أشرف والشكر فيهم أكثر".^١

ولقد كان كتابهم من الفرس.

٤٧

على أنّ الفضل بن سهل نقل - قبل أن يكون وزيراً - كتابًا من الفارسيّة إلى العربيّة بمشورة من يحيى البرمكيّ، فأعجب به، ودعاه إلى الإسلام لينال ما يستحقّ من مناصب. أمّا أهمّ ما نقلوه عن الفرس من علوم فهو التاريخ والسير والفلك والموسيقى والغناء. وأشهر النقلة نوبخت وابنه الفضل الذي نقل من الفارسيّة كتبًا في النجوم وغيرها، وعلىّ بن زياد التميمي ويكنّى أبا الحسن، نقل من الفارسيّة كتاب زيج الشهر يار، والحسن بن سهل كان من المنجمين والمترجمين، وإسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة بأخبار نامه، وعبد الله بن المقفّع ترجم كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" وكتاب "خداينامه" وهو تاريخ الفرس من مبدأ ملكهم إلى نهايته، وسماه (تاريخ ملوك الفرس) وكتاب (آيين نامه) أي نظم الفرس وعاداتهم، وكتاب (مزدك). ومما ترجم أبان بن عبد الحميد كتاب (سيرة أردشير) وكتاب (سيرة أنوشروان) وكتابًا عن مزدك وكتابًا عن بوذا. كذلك ترجم آخرون عهد أردشير، وكتاب موبد موبدان، وكتاب أدب الحرب، وتوقيعات كسرى.

وقد استقى المؤلّفون تاريخ الفرس من الكتب التي ترجمها ابن المقفّع وغيره، فالمسعوديّ يذكر أنّه قرأ بمدينة (اصطخر) سنة ٣٠٣هـ كتاباً عظيماً في أخبار ملوك الفرس وسياستهم وأحوالهم لم يجدها في كتبهم التي قرأها من قبل مثل (خدائنامه) و (آيين نامه) و (كهنامه) وغيرها.

وعدّد حمزة الأصبهانيّ ثمانية كتب في تاريخ الفرس استمدّها منها ما كتبه في تاريخهم، منها (سير ملوك الفرس) ترجمة ابن المقفّع.

ونجد في كتاب (التاج) المنسوب إلى الجاحظ إقتباساً كثيراً جداً من نظم الفرس وعاداتهم وسلوكهم، يخالطه اقتباس من المأثور عن العرب في الجاهليّة والإسلام.

وليس من شكّ أنّ الفرس الذين ترجموا من الفارسيّة بالعربيّة، والذين ألفوا في العربيّة مؤلّفات شتى في أنواع المعرفة، كان لهم نصيب عظيم في توجيه الحركة العلميّة والسير بها إلى الأمام.

وحيثما نقول إنّ لهم نصيباً عظيماً فإنّنا نعترف بآثارهم ونشيدُ بفضلهم، ولا نتناسى الطبريّ والمخشريّ والرازيّ والبخاريّ والبيرونيّ والفارابيّ وابن سينا وغيرهم. لكنّنا لا ننسب الفضل كلّه إلى الفرس فنغمط العرب حقّهم من الفضل كما فعل ابن خلدون ومن ساروا على إثره.

شهد القرنان الثاني والثالث الهجريّان اهتماماً عديم النظير أوّلته الأُمّة الإسلاميّة للحركة العلميّة والفكريّة. وإذا كانت بواكير هذا الاهتمام قد حدثت في الدولة الأمويّة، فإنّه يمكن القول بحقّ إنّ دولة بني العبّاس - ولا سيّما في القرن الأوّل من عمرها - قد تفوّقت في هذا المضمار؛ حيث أسدى خلفاء بني العبّاس ووزراؤهم البرامكة الإيرانيّون اهتماماً بيّناً بالحركة العلميّة وشجعوا العلماء والمترجمين وهكذا تحوّلت ثقافات فارس والهند واليونان إلى ثقافة العرب المسلمين ورفدتها بعناصر وأزواد، لم يكن لها بها عهد من قبل وقد تمّ هذا التحوّل من طريقين طريق النقل والترجمة، الذي برز فيه ابن المقفّع وآل نوبخت، وطريق ثان هو تعرّب شعوب الشرق وانتقالهم إلى العربيّة حاملين إليها موروثاتهم وفنونهم ومعارفهم.

بژوهشنامه تاريخ تشيع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وقد كان للنفوذ السياسيّ الفارسيّ في دولة بني العبّاس أثر بارز في تحديد طبيعة الصلات الثقافيّة بين هذين الشعبين في وقت مبكر. حيث كانت الكتب التي موضوعها السياسة الملوكيّة عند الفرس أولى الكتب التي تُرجمت بالعربيّة من الآثار الأجنبيّة في الأدب والسياسة، فوضعت في متناول حكام العرب وقوادهم ثمار تجارب عديدة في الحكم والسياسة، وأصنافاً من العلوم والآداب كانت تجمع معارف العصر، وشطراً كبيراً من التراث الحضاريّ الإنسانيّ؛ فكانت هذه التراجم أقدم كتب وُجدت في اللغة العربيّة في تلك الفنون، وطبيعيّ أن تكون الحكّم والنصائح والوصايا السياسيّة والاجتماعيّة تبعاً لهذه الحال في طليعة الكتب الفارسيّة التي تناولتها أقلام المترجمين بالنقل والتعريب. وقد نجم عن ذلك أن راج هذا الجنس الأدبيّ في الأوساط العربيّة الإسلاميّة رواجاً منقطع النظير. وإذا كانت الحكّم والنصائح والوصايا الفارسيّة وليدة الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة التي سادت في عصر بني ساسان، فإنّ ميلاد وضع اجتماعيّ وسياسيّ مشابه لذلك في العصر العبّاسيّ الأوّل يستدعيّ تعبيراً عنه يمثل هذا النمط الأدبيّ معنيّ ومبنيّ، والحقيقة التي لا ريب فيها أنّ الحياة السياسيّة والاجتماعيّة في الدولة العبّاسيّة تلك، التي تأثرت بنظام الدولة الساسانيّة وحياتها الاجتماعيّة، كانت وراء فيض من الحكم التي ترجمها ابن المقفّع والبلاذريّ والحسن بن سهل وسواهم في السياسة الملوكيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة. فضلاً عن دور الكتاب (وجلّهم من الفرس) في هذا المجال، فمنصب الكاتب كان يقضى من صاحبه أن يكون واسع الثقافة متجدّد المعرفة، لأنّه يعرض على الخليفة أو الوالي ما يُرسل إليه، ويكتب عنه ما يُرسل منه، فلم يكن للكتاب بدٌّ من إجادة العربيّة ومعرفة الأدب الفارسيّ، ووقفوا على تاريخ العرب وتاريخ الفرس، وجمعوا بين حكّم الخلفاء الراشدين واكثم بن صيفي، وحكّم بزرجمهر وكسرى أنوشروان.

وأهم كتب الحكم والأمثال الفارسيّة التي أثّرت في الأدب العربيّ:

پندنامه بزرجمهر، وكتب التأديب، وكتب سير الملوك خداينامه، وكتب التاج

"تاجنامه"، و"آيين نامه" و"القصص الرمزيّ".

من الكتب التي أثّرت في الأدب العربيّ نذكر كليلة ودمنة، أشهر الكتب التي ترجمها ابن المقفّع (سنة ١٣٣هـ/٧٤٩م) وكان رأس المترجمين العشرة فضلاً عن أنّه ألف في

العربية عدداً من الكتب مثل الأدب الصغير و الأدب الكبير، و اليتيمة في الرسائل. كما ترجم من الفارسيّة عدداً آخر لم يصل إلينا شيءٌ منه حتى الآن، مثل "خدائنامه" في السير، وآيين نامه، والتاج في سيرة أنوشروان^١. ويُعدّ كتاب كليلة ودمنة أحد الكتب التي قرّبت ما بين الأدبين العربيّ والفارسيّ في الوقت الذي أحدث فيهما حركة فنيّة وفكرية... وكان ابن المقفّع قد ترجمه عن البهلوية التي نُقل إليها من اللغة الهندية، ولما ضاع الأصلان الفارسيّ والهنديّ، صارت الترجمة العربية أصلاً، ولا سيّما أنّ ابن المقفّع أضاف إليها بعض الأبواب... وأشهر من ترجمها بعد ذلك بالفارسيّة أبو المعاني نصر الله (سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م)، ثمّ تُرجمت غير مرّة بالفارسيّة وغيرها من اللغات العالميّة.^٢

ترجم ابن المقفّع هذا الكتاب (الأدب الرمزيّ) ليُصلح انحراف الخليفة المنصور وهو يرجو أن يقرأه الخليفة، فيعدل عن غيّه، وأن يقرأه الشعب فيغضبَ لظلمه، وإن كان ظاهرُ الكتاب اللهو والتسلية.

اهتمّ الأدباء واللغويّون بكليّة ودمنة، ونقلوا منها حكايات وأمثالاً كابن قتيبة في عيون الأخبار، أو ألفوا على منوالها كما حُكي عن كتاب القائف للبعويّ الذي لا يزال مفقوداً، وكتاب ابن الهبّاريّة في الشعر (الصادح والباغم)، الذي طُبِع عدّة مرّات، وغيرها.^٣

التأثر بالخصائص الفنيّة للحكم المترجمة:

تأثر أدباء العربية وكُتّابها في هذا العصر بالخصائص الفنيّة للحكم والنصائح والوصايا المترجمة من الفارسيّة، وإذا كانت النصوص البهلوية الأصليّة للحكم المترجمة قد فُقدت وحيل بيننا وبين الاطلاع على معظمها، فإنّ ثمة ظواهر جديدة قد طرأت على طرائق التعبير لدى الكُتّاب في هذا العصر، لا نرى تعليلاً إلاّ القول إنّهم اقتبسوها عن الأسلوب الفارسيّ، الذي انتقلت بعض ملامحه وقواعده إلى الكتابة الفنيّة العربية عبر المترجمات الفارسيّة في هذا العصر. وهكذا فقد تغيّر أسلوب الكتابة في العصر العبّاسيّ الأوّل تغيّراً

١. انظر ابن المقفّع بين حضارتين، ص ٦٥-١٦٥.

٢. دراسات في الأدب المقارن، ص ١٧٢ وما بعدها و١٩٤ وما بعدها.

٣. م. س، ص ١٧٨ و١٨٧.

واضحًا بعد أن اطّلع الكتاب والمترجمون على ثقافة الفرس وأساليب التعبير لديهم. وعلى العموم فإنّه يمكننا أن نجمل التأثير بأسلوب الحكّم والنصائح الفارسيّة في هذا العصر في المظاهر التالية:

١. سهولة الألفاظ ووضوحها وشفافيتها، والعزوف التام عن الألفاظ الحوشية البدويّة، وإيثار التعابير الشديدة الأسر.

٢. التعليل المنطقيّ للأفكار:

فقد اعتاد قدماء العرب أن يُرسلوا حكّمهم إرسالاً من غير تعليل أو بيان للأسباب، إذ يكفي أن يقف الحكيم أو الخطيب منهم ليلقى بين أيدي الناس حكّمه وآراءه من دون أن يعلّل أو يفسّر أو يبرهن صحّة معتقداته وآرائه.

٣. استقصاء المعاني:

تميّزت حكم العرب قبل هذا العصر بوثبات ونقلات سريعة يثب فيها الخطيب أو الحكيم من فكرة إلى فكرة من غير جامع أو رابط بين مجموع الآراء والأفكار، التي تنطوى عليها حكمه وآراؤه.

٤. طريق السؤال والإجابة:

حيث تطلّ علينا في أساليب كتاب هذا العصر صيغة في عرض الحكّم والآداب لم تكن معهودة في آثار الحكماء الجاهليّين والإسلاميّين. ذلك أنّ الأسلوب الوعظيّ التقريريّ هو المتّبع والأثير لدى خطباء العرب ووعّاظهم وحكّماهم؛ تبعاً لمعطيات قرائتهم وتجليات عبقريّتهم وعقلهم. أمّا في هذا العصر فإنّنا نقف إزاء طريقة جديدة اعتمدها كثيرٌ من كتاب هذا العصر، هي طريقة السؤال والإجابة. حيث يُسأل الحكيم عن رأيه في مسألة من المسائل فيجيب عن ذلك في قالب حكميّ تعليميّ. وحين نتوجّه إلى آثار المصنّفين في هذا الموضوع تواجهنا إشاراتٌ كثيرة إلى أمثلة لهذا الأسلوب المتميّز كقول ابن المدبّر في الرسالة العذراء، في

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

ماهية البلاغة^١: " قال صاحب اليونانيين: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام. وقال الرومي: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة . وقال الفارسي: هي معرفة الفصل من الوصل. وقال الهندي: هي البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكتابة عنها... وقيل لهندي: ما البلاغة؟- فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم، فيها: أول البلاغة احتمال آلة البلاغة. وسئل عمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ - فقال: ما بلّغك الجنة، وعدل بك عن النار، ورمى بصرك بمواقع رشدك، وعواقب غيبك". ومن ذلك أيضاً قول الحصري القيرواني^٢ "وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي: ما البيان؟ - قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويكشف عن مغزاك، ويخرجه من الشرك، ولا يُستعان عليه بالفكر، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل"^٣. ونحن نعتقد بأنّ الكتاب والأدباء في هذا العصر، قد ورثوا هذه الطريقة عن كتاب الفرس وحكمائهم؛ فقد ترجمت في هذا العصر كتب تحمل اسم "المسائل"؛ من مثل مسائل أنو شروان الموجهة إلى بزرجمهر وإجابة بزرجمهر إياه، ثم كتاب "مسائل ملك الروم ملك الفرس عن أشياء من الحكمة"، وسوى ذلك من كتب "المسائل" التي أشار إليها ابن النديم في الفهرست وابن مسكويه في الحكمة الخالدة.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٥. التقسيم والتفريع:

كذلك يُلاحظ الباحث ظاهرة متميّزة في أساليب كتاب هذا العصر، لعلها لم تكن معروفة من قبل، ونعني بها تقسيم الفكرة الواحدة إلى أقسام وأجزاء، ثم تفصيل القول وإبداء الرأي في كل جزء أو قسم منها؛ ومثال ذلك قول ابن المقفع في الأدب الكبير في أصناف الملوك^٤ "اعلم أنّ الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى. فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم، ويلحق بهم الذي عليهم، أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط

١. محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص ٢٥٠.

٢. زهر الآداب ج ١، ص ١٠٩.

٣. محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص ٤٩.

٤. م. ن، ص. ن.

منهم بمنزلة الراضى فى الإقرار والتسليم. وأمَّا ملك الحزم، فإنَّه يقوم به الأمر، ولا يسلم من الطعن والتسخُّط. ولن يضرَّ طعن الذليل مع حزم القوى. وأمَّا ملك الهوى، فلعب ساعة ودمار دهر". ولعلَّ الفرس كانوا إيَّها يعنون، حين قالوا فى البلاغة إنَّها معرفة الفصل من الوصل.

٦. التجسيم والتشخيص:

وثمة أثر فارسى آخر ترك مياسمه فى أساليب الكتاب فى هذا العصر، وهو التجسيم والتشخيص، وهو ضرب من التشبيه فيه المشبه به صورة مركبة، مستمدة من واقع الحياة، تتطوى أحياناً على معنى ساخر، يقصد إلى التنفير من حال المشبه به، ووعظ المشبه لئلا يقع فى مثل مرزئته. وهو أبلغ فى الوصول إلى هذا الغرض من سواه. ومن الشواهد لدى كتاب العصر، قول ابن المقفَّع فى الأدب الكبير، مصوراً من يصول على عدوه بقوم ليس منهم على ثقة ولا أمن جانب^١ "وإنما أنتَ فى ذلك كراكب الأسد، الذى يهابه من نظر إليه، وهو لمركبه أهيب". وأحياناً يريد به إبراز المعنى المراد وتجليته كقول صاحب جاويدان خرد فى تصوير الحازم حين تتناوبه الآراء والمذاهب^٢ "الحازم فى ما أشكل عليه من الرأى بمنزلة من أضع لؤلؤة، فجمع ما حول مسقطها من التراب، فنخله حتى وجدها".

والثابت لدينا أن هذه الطريقة قد وجدت سبيلها إلى البيان العربى عبر كليله ودمنة ورسائل أخرى أخلاقية واجتماعية وسياسية فارسية الأصل، تُرجمت فى هذا العصر [علماً أن أسلوب المثل، تعرفه العرب من خلال النصِّ القرآنى].

٧. طريقة عرض الحكم والآداب بقالب قصصى:

ولعلَّ من معالم الأسلوب الجديد المتأثر بأسلوب الحكم الفارسية، طريقة بثِّ الحكم والنصائح والوصايا فى قالب قصصى، يصور فيه الأديب أو الكاتب شخصاً بعينه، قد تحلَّى بطائفة من مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال، مما يجعل هذا الكاتب أو الأديب يُكبره،

١. رسائل البلغاء، ص ٥١.

٢. الحكمة الخالدة، ص ١٣.

ويحضّ السامع والقارىء على الاقتداء به وترسم خطاه. ومن ذلك - مثلاً - قول ابن المقفع في الأدب الكبير^١ "إنني مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينه. كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا تدعو إليه مروءته، ولا يستخف له رأياً ولا بدأناً. كان لا يأشر عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة. وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة. وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذي القاتلين... فعليك بهذه الأخلاق، إن أطقت، ولن تطيق، ولكن أخذ القليل خيراً من ترك الجميع".

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٨. التقديم للحكايات في الكتب المتأثرة بكليلة ودمنة:

لعلّ السمة الأسلوبية البارزة التي انتقلت إلى الكتب والمصنّفات والآثار المتأثرة بكليلة ودمنة بالذات، هي طريقة التقديم بين أيدي الحكايات، حيث يصدر الكاتب حكاياته بجملة مصوغة في قالب التساؤل، فيقول: "كيف كان ذلك؟"، وهذه ترادف الجملة الفارسية "چگونه بود آن"، ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك بنقل القصة وسردها بقوله "زعموا أن..."، وهذا ما نراه في مقدمات القصص الواردة في كتاب الحيوان للجاحظ وفي غيره من الكتب.

٩. تداخل الحكايات في الكتب المتأثرة بكليلة ودمنة:

كذلك يواجه الباحث ظاهرة أخرى في الأداء، دخلت أساليب المصنّفين الذين عارضوا كليلة ودمنة بمصنّفات وكتب، كسهل بن هارون، وعلى بن عبيدة الريحانيّ وسواهم ممن عزف على هذا الوتر؛ وتلك هي تداخل الحكايات بعضها في بعض في أمثال هذه الكتب، حيث تنطوي كلّ حكاية رئيسية على حكايات جانبية، وكلّ منها يتضمّن حكمة أو أكثر. وما من شكّ في أنّ أدباء العربية وكتّابها، لم يكن لهم عهدٌ بها من قبل، في ما حفظ لنا من حكاياتهم وقصصهم التي أجروها على ألسنة الحيوانات.

١. محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص ١٠٥ - ١٠٦.

٢. محمد غفراني خراساني: عبدالله بن المقفع، ص ٤٦٦.

١٠. طريقة الحوار والمناظرة:

تذكر المصادر أنه شاع في الأدب البهلوي نزعة شعبية ترمي إلى شرح وجهتي نظر متباينتين في قضية أو أكثر. والصيغة المأثورة للتعبير عن وجهتي النظر هاتين هي صيغة المناظرة والحوار والجدل. وقد وصل إلينا من هذه النماذج البهلوية حواراً أدبياً عنوانه "الشجرة الآشورية" أو (درخت آسوريك)، موضوعه حوار بين النخلة والعنزة، حيث تمثل النخلة حياة الاستقرار لدى الآشوريين، في حين تعبر الثانية عن الحياة الرعوية لدى الفرس القدماء^١. ويمضي الحوار بينهما بصورة تعرض فيها كل واحدة منهما ما تقدمه للناس من خير ومتاع، لتجعل من نفسها في النهاية أفضل من الأخرى.

ويقال كذلك إنه وصلت إلينا رسائل بهلوية، موضوعها المشروع وغير المشروع (شايست وناشايست) من وجهة نظر العقيدة الزرادشتية^٢.

والواضح أن أمثال هذه الرسائل كانت تنطوي على كثير من الحكم والآراء الصائبة، وتقصد إلى توجيه سلوك الأفراد نحو الأفضل في رؤية كتابها وواقعها.

والذي يهمننا في هذا المقام هو أن هذه الرسائل قد أثرت في أسلوب الكتابة العربية عامة وفي طريقة الأداء في الموضوعات الحكمية خاصة. حيث يرى الباحث كثيراً من كتاب هذا العصر يعتمدون أسلوب الحوار والمناظرة في بث آدابهم وآرائهم وأفكارهم. ومن خير من مثل هذا الاتجاه في هذا العصر سهل بن هارون والجاحظ. ومن يقرأ رسالة سهل بن هارون التي فضل فيها البخل^٣، يدرك بوضوح تام معالم الطريقة الجديدة، حيث يقول في تضاعيفها "وعبتموني حين ختمت على سدّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبد نهم، وصبي جشع، وأمة لكعاء، وزوجة خرقاء. وليس من أصل الأدب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن

١. دانشنامه جهان اسلام، بإشراف غلامعلي حداد عادل طهران ١٣٧٩ش [١٩٩٠م]، مج ٥، ص ٨٢٩ ← ٨٣٣.

٢. دانشنامه، م، ن، ص ٨٣٢.

٣. انظر هذه الرسالة كاملة في كتاب البخلاء للجاحظ ص ٩-١٦.

يستوى في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمان الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كل فن، واللباب من كل شكل، التابع والمتبوع، والسيد والمسود". ثم يقول: "وعبتموني بخصف النعال وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأوطأ وأقوى وأنفى للكبر وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع.. وقالت الحكماء: لا جديد لمن لا يلبس الخلق". ولعل من أبرز معالم الطريقة الجديدة قول سهل هذا في رسالته التي فاضل فيها بين الزجاج والذهب: "الزجاج مجلؤ نوري، والذهب متاع سائر، والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن، ولا يفقد معه وجه النديم، ولا يتقل اليد، واسم الذهب يتطير منه، ومن لومه وسرعه إلى اللثام، وهو فاتن فاتك لمن صانه، وهو أيضاً من مصايد إبليس، ولذلك قالوا: أهلك الرجل الأحمران. والزجاج لا يحمل الوصر، ولا يداخله الغمر، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً، وهو أشبه شئ بالماء، وصفته عجيبة، وصناعته أعجب"^١.

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٧٦

ثانياً- التأثر بالاقتباس:

يمكن القول بحق إن أوضح صور التأثر بالحكم والنصائح والوصايا الفارسية المترجمة إنما هو "الإقتباس". ذلك أن الباحث في الكتب المصنفة في العصر العباسي يستيقن أن الأدباء والمؤلفين العرب في ذلك العصر، لم يكونوا يستشعرون أي حرج في اقتباس العبارات أو الأفكار أو النصوص من كتب الآداب والحكم الفارسية المترجمة. على أن السمة المميزة لهذا الإقتباس أنهم كانوا يخضعون النصوص والعبارات المقتبسة لبيانهم وأساليبهم ومقدرتهم على صياغة المعاني وإخراجها في حلل جديدة. وسنتبين في الصفحات التالية من هذا البحث كيفية تعاملهم مع المصادر الفارسية التي استقوا منها مادتهم المقتبسة، ثم نعرض للتغيرات التي كانوا يجرونها على نقولهم ومقتبساتهم عندما يضمونها كتبهم ومؤلفاتهم. ومن هنا فإن حديثنا سيكون موزعاً في اتجاهين اثنين: صلتهم بالمصادر الفارسية، ثم صياغتهم للمادة المقتبسة.

١. ابن نباتة: سرح العيون (الطبعة الأولى) ص ١٣٩.

أ. الصلة بالمصادر الفارسيّة:

يُعرض أغلب المصنّفين والكتّاب المتأثرين أو المقتبسِين عن ذكر مصادر مادتهم المقتبسة، وقلَّ أن تجد منهم من يعمد إلى ذكر الكتاب الذي أخذ عنه أو نقل منه. وعلى الإجمال فإنهم قد اتخذوا الطرائق التالية في تعاملهم مع المصادر:

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

١. يصرّح الكاتب أحياناً باسم الكتاب الفارسيّ الذي نقل منه مادته، كقول ابن قتيبة "وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه" أو قرأت في كليلة ودمنة.

٢. يذكر الكاتب أحياناً أنه أخذ مادته من كتاب للعجم، من دون تحديد لكتاب بعينه، ومثل هذا المسلك غير قليل في مؤلفات الجاحظ وابن قتيبة وسواهم.

٣. ينقل الكاتب أحياناً حكماً فارسيّة قائلًا "وكانت الحكماء تقول: كذا..."، ومن ذلك قول ابن قتيبة^١ "وكانت الحكماء تقول: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان".

٤. يكثر أن يذكر الكاتب حكمة أو نصاً بادئاً بالقول "وكان يقال..."، ومثاله قول ابن قتيبة^٢ "كان يُقال: لا سلطان إلاّ برجال، ولا رجال إلاّ بالمال، ولا مال إلاّ بعمارة، ولا عمارة إلاّ بعدل وحُسن سياسة" من غير إشارة إلى المصدر.

٥. يغلب أن يذكر المؤلف حكمة فارسيّة منسوبة إلى حكيم بعينه، ولكن لا يشير إلى مصدره في ذلك كقول الجاحظ^٣ "وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسيّ: أي شيء للعبي؟ - قال: عقل يجمله. قالوا: فإن لم يكن له عقل. قال: فمالٌ يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال. قال: فإخوانٌ يعبرون عنه. قالوا: فإن لم يكن له إخوانٌ يعبرون عنه. قال: فيكون صامتاً. قالوا: فإن لم يكن ذا صمت. قال: فموت وشيك خيرٌ له من أن يكون في دار الحياة".

١ - عيون الأخبار، ج ١، ص ٥.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٩.

٣ - البيان والتبيين، ج ١، ص ٧-٨.

٦. يذكر المصنّف أحياناً مقتبساًته ونقولَه مسنداً إياها إلى العجم مع إغفال ذكر المصدر الذي استقى منه، كقول ابن قتيبة^١ "والعجم تقول: كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرة فهو ذليل".

٧. يلجأ المصنّف في بعض الأحيان إلى إسناد نقوله إلى سلسلة من الرواة بعضهم معروف وبعضهم غير معروف، كقول ابن قتيبة^٢ "حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام مولى ديف مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال: قال كسرى: لا تنزلُ ببلدٍ ليس فيه خمسةُ أشياء: سلطانٌ قاهرٌ، وقاضٍ عادل، وسوقٌ قائمة، وطبيبٌ عالم، ونهرٌ جار".

٨. يسند بعض المصنّفين نقوله ومقتبساًته إلى القدماء، فيقول، "وكانت القدماء تقول...".

٩. كثيراً ما يلجأ المصنّفون إلى اقتباس حكمة أو عبارة بليغة من أصل فارسيّ مترجم، وينحلونها أشخاصاً لا تمتّ إليهم بصلة، وقد يُجرون عليها بعض التحوير بقصد التمويه والتعمية. ومن ذلك - على سبيل المثال - أنه جاء في تذكرة ابن حمدون قوله^٣ "قال على بن أبي طالب - عليه السلام - صاحب السلطان كراكب الأسد، يُعَبِّط بموقعه، وهو أعلم بموضِعِه". وهذه الحكمة صحيحة النسبة إلى كليلة ودمنة. وأوردها صاحب عيون الأخبار على هذا النحو^٤ "وقال ابن المقفّع: مثل صاحب السلطان مثل ركب الأسد، يهابه الناس، وهو لمركبه أهيب" ومن هذا القبيل أيضاً قول الماوردي^٥ "وقد قال العباس بن عبد المطلب: إذا اشتبه عليك أمران، فدع أحبهما إليك، وخذ أثقلهما عليك؛ وتجمع المصادر على أن هذه الحكمة لبزرجمهر. حيث يقول ابن قتيبة^٦ "إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر في أيّهما الصواب فانظر أقربهما إلى هواك، فاجتنبه".

١. عيون الأخبار، ج، ٢، ص ٢.

٢. عيون الأخبار، ج، ١، ص ٦.

٣. كتاب السياسة والأدب الملوكية، ص ٦٩.

٤. عيون الأخبار، ج، ١، ص ٣٧.

٥. الفهرست، ص ٣١٦.

٦. المصدر نفسه، ج، ٣، ص ٧٦ - ٨٠.

١٠. قد يُبدّلون اسم الملك أو الحكيم صاحب العبارة أو النص المقتبس، فيقولون: "قال بعض الملوك" أو "بعض الحكماء" أو "قال الأولون منا"، ونحو ذلك مما نطالع في مصنفات ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة، ومن تلاهم من كتاب العصر العباسي ومصنفيه.

ب- أوضاع النصوص المقتبسة في المصنّفات العربيّة:

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

يلاحظ الباحث أنّ المصنّفين القدامى لم يكونوا يأخذون موادهم المستقاة من المصادر الفارسيّة من غير إعمال أو تعديل، بل إنهم غالباً ما يخضعونها لبعض التغييرات التي تفقدها كثيراً من أماراتها وسماتها الفارسيّة. وعلى العموم فإنّ أهمّ ما يلاحظ في استخدامهم المواد المقتبسة هو:

١. التصرف في العبارة المنقولة:

تعدّ هذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي تبدو للباحث عند دراسة كميّة استخدام المؤلّفين للمادّة الثقافيّة التي يقتبسونها من كتب الحكم الفارسيّة المترجمة. فقد أملت عليهم براعتهم الأدبيّة، وتمكّنهم من ناصية اللغة ورغبتهم في تجاوز الحدود المرسومة والعبارات المألوفة، تحرراً من أسر الدقّة وتمرداً على مقتضيات الأمانة العلميّة، فأخذوا يصوغون النصوص المقتبسة صياغةً جديدة، تُبعدها بُعداً مفرطاً عن الأداء الأصليّ لمترجميها. وينجم عن ذلك طمس المعالم الأصليّة لهذه النصوص، وتوارى المترجمين البارعين. ويمكننا أن نعيد إلى هذه الظاهرة تلك الاختلافات الكبيرة بين مقتبسات القدماء من كليلة ودمنة وما بين أيدينا الآن من متون هذا الكتاب.

٢. الجمع والتأليف بين كتب ومقتبسات فارسيّة وعربيّة مع التمييز بينها:

لقد كان من صور تعامل المصنّفين مع المقتبسات من المصادر الفارسيّة - في العصر العباسيّ الأوّل - أنّهم كانوا يأخذون نصّاً أو رسالة، وأحياناً كتاباً فارسياً فيضمّون إليه مطالب ومقتبسات عربيّة في الغرض ذاته؛ ليجعلوا من المجموع كتاباً جديداً في اسمه

ومضمونه، وبين أيدينا صورة من المصنفات التي سلك فيها مؤلفوها هذا المسلك، وهي ما فعله ابن مسكويه (٤٢١هـ) في كتابه أدب الفرس والعرب الذي بناه على أساس رسالة فارسيّة، هي "جاويدان خرد" أو الحكمة الخالدة، ثم أضاف إليه موادّ ثقافيّة ذات مصادر فارسيّة وهنديّة وروميّة وعربيّة، وأسمى هذا الموضوع "أدب الفرس والعرب". ويُرجّح أن يكون الكتاب الذي ذكره ابن النديم لعلّي بن ربّان النصرانيّ (٢٦٠هـ) في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب قد دار في الفلك ذاته.^١

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

٣. الجمع بين عناصر فارسيّة وعربيّة من غير تمييز بينها:

يلجأ المصنّفون في بعض الأحيان إلى الدمج بين مطالب ومقتبسات فارسيّة وعربيّة من غير إشارة إلى ما هو فارسيّ وما هو عربيّ منها. ومن ذلك ما جاء عند ابن عبد ربّه في العقد الفريد، حيث عقد فصلاً خاصاً لحكم أكنم بن صيفي وبزرجمهر، أورده تحت عنوان "حكّم أكنم بن صيفي وبزرجمهر"^٢، ولكن من غير الممكن أن يفصل بين ما لكلّ منهما من حكم.

٨٠

٤. اتخاذ مصنف فارسيّ أساساً لكتاب جديد ينطوي على مطالب وأفكار عربيّة. وهذه صورة أخرى من صور الاقتباس لدى المصنّفين العرب، وفيها يعمد الكاتب إلى كتاب فارسيّ فيجعل منه أساساً يضمّ إليه مطالب وأفكاراً عربيّة من نوع أفكاره وموضوعاته. وهذه الطريقة أقرب إلى الدمج التام منها إلى الاقتباس؛ حيث يستطيع الكاتب بأسلوبه وبراعته في التأييف والتنسيق أن يغيب الملامح الأصليّة لمقتبساته ونقوله، فيظهر كتابه وحدة متماسكة الأجزاء مستقلة الطبيعة. ومثاله في ذلك العصر كتاب التاج في أخلاق الملوك المنسوب إلى الجاحظ. حيث نميل إلى الاعتقاد أنّه وُضع على أساس كتاب ساسانيّ تُرجم في عصر الجاحظ، فأضاف إليه مؤلفه معارف وأخباراً تتصل بخلفاء بني العبّاس، ووصفاً لبعض ما كان يجري في مجالسهم.

١. الفهرست، ص ٣٠٥.

٢. أدب الدنيا والدين، ص ٢١٦.

٥- التلخيص والاختيار:

إنَّ إِيثار العبارة الجميلة والنكتة الطريفة والملحة النادرة، أملى على كثير من المصنِّفين في العصر العباسي أنْ يلجأوا في مصنِّفاتهم إلى طريقة الاختيار والانتخاب من محصلهم الثقافي والفكري، فكنا نجد عندهم - بتأثير هذه النزعة غالباً - طائفةً كبيرةً من كتب الاختيارات والمجالس والأمالى. وقد طبَّقوا نظريتهم تلك على بعض الكتب الفارسيَّة التي تُرجمت في هذا العصر. وكان من هذا القبيل صنيعهم مع الكتاب الخالد "كليلة ودمنة" حيث تذكر المصادر أنَّ كثيرين من الكتاب قد تناولوا الكتاب بالتهذيب والاختيار واستخلاص القصص الرائعة والحكم البديعة. يقول ابن النديم^١ "ولهذا الكتاب (كليلة ودمنة) جوامع وانتراعات عملها جماعةٌ منهم ابن المقفع، وسهل بن هارون، وسلم صاحب بيت الحكمة، والمبرد الأسود، الذي استدعاه المتوكلُ في أيامه من فارس". ويبدو لنا أنَّ هذه الجوامع والانتراعات ليست إلاَّ تلخيصات واختصارات لبعض ما انطوى عليه هذا الأثرُ القيم من موضوعات طريفة وأفكار أثيرة إلى الأفهام. ولا نشكُّ أنَّ مثل هذا الجمع والانتراع قد وجد طريقه إلى آثار حكميَّة فارسيَّة كثيرة عدا هذا الكتاب.

٦- إيراد حكم عربيَّة وفارسيَّة في فكرة محدَّدة:

تعدُّ هذه الصورة من أكثر صور الاقتباس شيوفاً في المصادر العربيَّة التي استقت من حكمة الفرس وآدابهم. وتطالعنا بكثرة في البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة، وفي مصنِّفات متأخرة عن العصر العباسيَّ الأول، كالعقد الفريد لابن عبد ربِّه، وبهجة المجالس للقرطبي، وأدب الدنيا والدين للماوردي، ولُبابِ الآداب لأسامة بن منقذ، وتذكرة ابن حمدون، وكتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة، وأمثالها من كتب الآداب والاختيارات. ونكتفى للتدليل على هذا الضرب من ضروب الاقتباس بهذين المثالين:

١. يقول الماوردي^٢ "وأما الاعجاب فيُخفى المحاسن، ويُظهر المساوىء، ويُكسب المذاق، ويصدُّ عن الفضائل. وقد روى عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله) أنه قال "إنَّ العُجب ليأكل

١. بهجة المجالس، ص ١١٠.

٢. انظر محمد غفراني الخراساني: عبد الله بن المقفع، ص ٢٥٥.

الحسنات كما تأكل النار الحطب". وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب. قال بزرجمهر: النعمة التي لا يُحسدُ صاحبها عليها: التواضع، والبلاء الذي لا يُرحمُ صاحبه منه العُجب".

٢. يقول القرطبي^١ قال الأحنف: الأدب نورُ العقل، كما أن النار في الظلمة نورُ البصر.

قال الأصمعي: ما من مطية أبلغُ ذرْكا، وهي وادعة، من الأدب.

قال بزرجمهر: أرفعُ منازل الشرف لأهله، العلمُ والأدبُ. وهكذا فإنَّ المصنّف يطرح فكرة أو موضوعاً معيّنًا، ثم يورد ما جاء بشانه من الأقوال الحكيمّة للعرب والفرس على حدّ سواء. ثم يأتي بفكرةٍ أخرى فيورد ما ذُكر للحكماء - من العرب والفرس - في شأنها من الحكم والآراء. ثم تمضى الأمور على هذا الوجه.

بژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

ثالثاً- نظم المتون والأفكار الحكيمية المترجمة:

قلنا من قبل إنَّ الأوساط الثقافية العربية في العصر العباسيَّ الأولَ أبدتُ احتفاءً كبيراً بالترجمات الحكيمية الفارسية، حيث أحلها الأدباءُ والكتّابُ سويداء قلوبهم. ويمكننا القول - بصورة عامّة - إنَّ أبرز مظاهر هذا الاهتمام بآداب الفرس وحِكْمهم ووصاياهم السياسيّة والاجتماعيّة، هو أنَّ طائفةً من شعراء هذا العصر قد سخرت عبقريّتها ونبوغها لنظم المواد الثقافية الفارسيّة، التي نقلها إلى العربيّة ابن المقفع وأضرابه. وكان ذلك قرباناً يقدّمه هؤلاء الشعراء بين أيدي أرباب نعمتهم ورؤسائهم ممّن يجرى في عروقهم الدم الفارسي؛ حيث يفتح لهم مستغلقات الأبواب، ومرتجات الخزائن. فقد نظم أبو سهل الفضل بن نوبخت - وهو ممن خدم المنصور والمهدى - كتاب كليلة ودمنة^٢ شعراً. كما تصدّى أبان اللاحقي لنظم هذا الكتاب؛ لأنَّ يحيى بن خالد البرمكيّ "اشتهدى حفظ كليلة ودمنة،

١. الجهشباري: الوزراء والكتّاب، ص ٢١١. وقد بقي من هذه المنظومة ستة وسبعون بيتاً انطوى عليها

كتاب الأوراق للصولي ص ٤٧ - ٥٠

٢. الفهرست، ص ١١٨ و ١٦٣.

فقلبه أبان شعراً؛ ليسهل عليه حفظه^١. كذلك تضيف المصادرُ أن أبان هذا نظم سيرة أنو شروان وسيرة أردشير وكتاب مزدك^٢. وممن نظموا كليلة ودمنة في هذا العصر أيضاً عليُّ بن داود، كاتبُ زبيدة بنت جعفر، وبشر بن المعتمر^٣.
ومن المتون الحكيمية الفارسية التي نُظمت في أواخر هذا العصر عهد أردشير، الذي نظمه البلاذريُّ المؤرخ المشهور صاحب فتوح البلدان^٤.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

وهناك صورة أخرى للنظم، يقتصر فيها الشاعرُ على نظم فكرة واحدة، أو عبارة حكمية لا يتعداها. من ذلك - مثلاً - أن شاعراً سمع أو قرأ قول بزرجمهر "إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تبقى، وإذا أدبرت عنك فانفق فإنها لا تبقى" فقال:
فأنفق - إذا أنفقت - إن كنت موسراً
وأنفق - على ما خيلت - حين تعسر
فلا الجودُ يُبنى المالَ، والجِدُّ مقبلٌ
ولا البخلُ يبقي المالَ، والجِدُّ مُدبرٌ^٥
ومن ذلك أيضاً أن ابن المعتز سمع قول أردشير لابنه "يا بني، لا تمكّن الناس من نفسك؛ فإن أجراً الناس على السباع أكثرهم لها معاينة"، فقال:

٨٣

رأيتُ حياةَ المرءِ تُرخصُ قدره
فإن ماتَ أغلته المنايا الطوائحُ
كما يُخلقُ الثوبَ الجديدَ ابتداءً
كذا تُخلقُ المرءَ العيونُ اللوامحُ^٦
ومن هذا القبيل أيضاً أن أحد الشعراء سمع قول سابور بن أردشير "العقلُ نوعان: أحدهما مطبوعٌ، والآخر مسموعٌ، ولا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه" فقال:

رأيتُ العقلَ نوعين
ولا ينفعُ مسموعٌ
كما لا تنفعُ الشمسُ
فمسموعٌ ومطبوعٌ
إذا لم يكُ مطبوعٌ
وضوءُ العينِ ممنوعٌ^٧

١. الفهرست، ص ٣٠٥.

٢. المصدر نفسه، ص ١١٣.

٣. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٣، ص ١٧٩.

٤. القرطبي، بهجة المجالس، ص ٤٩.

٥. الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ١٥.

٦. رسائل الجاحظ (نشر عبد السلام هارون)، ج ١، ص ٣٠٤.

٧. رسالة الأمل والمأمول، ص ٧٠.

رابعاً. مضاهاة الحكم والآداب المترجمة (التأثر المضاد أو المعاكس):

ومن ضروب التأثر بالحكم والآداب الفارسيّة ما يُسمّى بالتأثر المضاد أو المعاكس. وهو يعني أنّ بعض الأدباء والشعراء العرب في هذا العصر راحوا يردّون على المتعصبين للفرس بأنّ العرب قد سبقوهم إلى تلك الحكم والآداب والمعاني الجميلة، بل بزوّهم في الكثير منها. وحين أعوزهم الدليل لم يتورّعوا عن الوضع والنحل. وقد أخذ الجاحظُ على عاتقه مهمّة الردّ على هؤلاء المتعصبين لحكمة الفرس ودفع غائلتهم. وتَحْفِلُ كتبه بالإشارات الدالّة على موقفه هذا، كقوله - مثلاً^١ - "وقال حكيم الفرس حين بلغه موت الاسكندر - وهو قاتل دارا بن دارا -: ما ظننتُ أنّ قاتل دارا يموت. وهذا القول مدح منه لقاتله. ولم أسمع للعجم كلمةً قطّ أمدحَ منها. فأما العرب، فقد أصبتُ لهم من هذا الضرب كلاماً كثيراً". ولا غرابة في ذلك بالنسبة إلى أبي عثمان، فقد كان يحمل لواء الدفاع عن العرب والردّ على خصومهم من الشعبيّة. ولعلّ في هذا - أيضاً - تفسيراً لكثرة كتب "الردود"، من مجموع كتبه.

ومن صور المضاهاة ما جاء في رسالة الأمل والمأمول المنسوبة إلى الجاحظ من قوله^٢ "وللفارسي: نه هرجا كه دود آيد دود خوراك است ... ليس كلُّ دُخانٍ دخانٍ طيبخ، ربما كان دخان كى. المعنى: لا تطمّع في كل شى حتى تختبره. وللعرب في هذا "لا تطمّع في كلِّ ما تسمع". فلم يطب له أن يذكر حكمة للفرس في معنى معيّن من غير أن يذكر إلى جانبها حكمة للعرب في الفكرة ذاتها.

ولعلّ خير ما يَصوّر هذا النوع من التأثر، ذلك المصنّف الذى ألفه أبو عبد الله محمد بن حسين بن عمر اليمنى (ت ٤٠٠هـ) وسمّاه "مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب".

بژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة، ص ٣.

٢. امصدر نفسه، ص ١٤.

وقد قصد هذا المصنّف من صنيعه إلى أن يُظهر تقدّم العرب من الجاهليين والإسلاميين، وسبقهم في مضمار الآداب والحكم، حيث يقول^١ "فأحببت أن أتبّه ذوى الألباب بمضاهاة أمثال هذا الكتاب على ما ضمتّ مثله أشعار المتقدّمين من الجاهليين والإسلاميين، الذين لم يعنّ لهم نقلُ حكم الأولين، ولا خرجوا من باديّتهم إلى الحضر، ولا قرأوا كتب السياسة والسير". ومن صور المضاهاة التي انطوى عليها مصنفه أنّه قال^٢ "قال صاحب الكتاب (يريد كليله ودمنة): ويقال في أمور ثلاثة لا يجرؤ عليها إلا أهوج، ولا يسلم منها إلا قليل: صُحبة السلطان، وركوب البحر، وشرب السمّ للتجربة. قال عبد المجيد التقفيّ:

فصاحبُ سلطان وراكبُ لجةٍ سواء إذا حصلت والشاربُ السّما

ويقول^٣ "قال صاحب الكتاب: ويقال: الفاقةُ بلاءٌ والسقمُ بلاءٌ والغربةُ بلاءٌ، ورأسُ

البلاء الهرمُ. قال بعض المعمرين:

لا تعدلاني، فمثلى اليوم لم يلم بليت مغترّباً بالسقم والعدم

هذا البلاء وأبلى منه نائبةٌ رمت صفاتي على الأيام بالهرم

وعلى هذا الغرار يمضى في بقية مصنّفه، حيث يذكر إلى جانب كلِّ حكمة من حكم كليله ودمنة بيتاً من الشعر العربيّ في مضمون هذه الحكمة، زاعماً أن ما يورد من أشعار في هذا الكتاب إنّما هو من أشعار المتقدّمين من شعراء الجاهليّة والإسلاميين. وهو يقصد من هذا إلى نفى الظنّ بتأثر ناظمي هذه الأشعار بما جاء في كليله ودمنة.

وبوجه عامّ، فإنّ كثيراً من كتب المنتخبات العربيّة لم تتحرّر من هذه النزعة، التي ترمى إلى إعلاء شأن العرب من طريق العبارة الجميلة والمعنى الآسر والفكرة السنيّة.

١. المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤٠.

٢. انظر هذه الوصية في مقدمة ابن خلدون، ص ٣٠٤ - ٣١١.

٣. القرطبيّ بهجة المجالس، ص ٤٩.

خامساً- المحاكاة والتقليد:

وشمة صورة أخرى لتأثر العرب بحكم الفرس ونصائحهم ووصاياهم في هذا العصر، هي إحتذاء الآثار الفارسيّة المترجمة في هذا الموضوع، والسير على هداها، وإبداع نتاجات أدبيّة على مثالها. فظاهر بن الحسين يوصى ابنه عبد الله - حين ولاه المأمون الرقة ومصر - بوصيته المشهورة، التي لم يدع شيئاً يمكن أن يحتاجه هذا الابن من الآداب الدينيّة والخلقيّة والسياسة الشرعيّة والملوكيّة إلاّ استوفاه فيها، ويلمح الباحث وجوه شبه كثيرة بين هذه الوصيّة وعهد أردشير بن بابك إلى الملوك من بعده.

وابن شبرمه يقول لابنه "يا بُنى، إياك وطول المجالسة؛ فإنّ الأسدَ إنّما يجتريّ عليها من أدام النظر إليها". وهو من غير شكّ سمع قول أردشير لابنه "يا بني، لا تمكّن الناسَ من نفسك؛ فإنّ أجراً الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة"^٢.

وعمر بن مسعدة الكاتب يقول: "أعظمُ الناس أجراً، وأنبهم ذكراً، مَنْ لم يرض. بموت العدل في دولته، وظهور الحجّة في سلطانه، وإيصال المنافع إلى رعيته في حياته. وأسعدُ الرعاة مَنْ دامت سعادة الحقّ في أيامه، وبعد وفاته وانقراضه"^٣.
وقوله هذا صدّي من أصداء عهد أردشير وظلّ من ظلاله.

وحكم الخلفاء - أيضاً - دارت في أفلاك فارسيّة؛ فالمأمون يقول "أولُ العدل أن يعدل الرجلُ على بطانته، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى"^٤. وكانه قد قرأ ليومه عهد أردشير، حيث يقول "واعلموا أنّ لكلّ ملك بطانة، وإنّ لكلّ رجل من بطانته بطانة؛ ثم لكلّ رجل من بطانة البطانة بطانة، حتى يجتمع ذلك في جميع أهل المملكة، فإذا أقام الملك بطانته على حال

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. انظر هذه الوصيّة في مقدمة ابن خلدون، ص ٣٠٤ - ٣١١.

٢. القرطبي، بهجة المجالس، ص ٤٩.

٣. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٣، ص ٦١.

٤. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٣.

الصواب، أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك، حتى تجتمع على الصلاح عامّة الرعية^١. ويتراءى لنا الروح الفارسيّ في قول هذا الخليفة: "الرجال ثلاثة: فرجل كالغذاء، لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء، يُحتاج إليه في بعض الأوقات، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبداً. وقال: ثلاثة لا عار فيهم، الفقر، والمرض، والموت"^٢. ربّما أمكننا القول بعد هذا إنَّ الكتاب والوزراء والخلفاء، في هذا العصر، قلّدوا في حكمهم وآدابهم حكمَ الفرس وآدابهم، فجاءوا من ذلك بنماذج رائعة وبدائع جامعة، قاربوا فيها فرسان الحكمة الفارسيّة وجاروهم في مضمار واحد.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

سادساً - المعارضة:

تعنى المعارضة - كما هو معلوم - أن يأتي كاتبٌ أو شاعر بصنيع مماثل لصنيع كاتب أو شاعر كان تقدّمه في طرُق موضوع من موضوعات النثر أو الشعر. وفي هذا المقام يستطيع دارس التراث الأدبيّ أن يقرّر أن أدباء هذا العصر وكتّابه قد عارضوا حكمَ الفرس ونصائحهم ووصاياهم، التي قُبِضَ لها أن تُترجم في هذا العصر. وإذا كنا نميل إلى الاعتقاد أن كثيراً من المؤلّفات الحكميّة التي عارض فيها أصحابها كتب الحكم والآداب الفارسيّة المترجمة قد أسدل عليها الدهر حجباً صفيقةً أماتتها وقطعت أخبارها عن الباحثين، فإننا نكتفي بالإشارة إلى بعض الأدباء الذين عارضوا ذلك الأثر النفيس كليلة ودمنة ونسجوا على منواله، وترسموا خطى مؤلّفه. فالمصادر تذكر أن سهل بن هارون كان ممن عارضوا هذا الكتاب بكتابين له هما ثعلّة وعفراء، والنمر والثعلب^٣. وربما كان عارض هذا الكتاب بكتابين آخرين هما المخزومي والهدليّة و الوامق والعذراء، والأرجح أن يكون أجرى حكاياته فيهما على السنة البشر لا على السنة الحيوان^٤.

١. عهد أردشير (تحقيق إحسان عباس)، ص ٧١.

٢. جعفر بن شمس الخلافة: كتاب الآداب، ص ٤٢.

٣. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٣ ص ٣٤ - ٣٥.

٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسيّ الأوّل)، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

كذلك ألف على بن عبيدة الريحانيّ- وهو من معاصري سهل- كتاباً سمّاه كتاب النملة والبعوضة، يرجح أن يكون عارض فيه سلفيه وابن أبي أرومته. كما ذكرت له المصادرُ كتاباً آخر يبدو أنه ذو صلة وثيقة بهذا الموضوع، وهو كتاب ورود ودود الماكين (الملكين في رواية)^١.

وممن يُعتقد أنّهم عارضوا كليلة ودمنة، أو بتحديد أكثر عارضوا كتب سهل ابن هارون التي كانت عارضت كليلة ودمنة، على بن داود المعروف بكتاب زبيدة. ويذكر له في هذا المجال كتاب الجرهمية وتوكيل النعم وكتاب الحرّة والأمة، وكتاب الظراف^٢.

وفي هذا السياق، يكفي أن نقرأ كتاب البخلاء، لندرک عمق ذلك التمازج الحضاريّ والفكريّ والاجتماعيّ المدهش، الذي عبّر عنه الجاحظ بأسلوب طريف واصفاً بخلاء العرب والفرس على حدّ سواء.

بژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

تأثير اللغة الفارسيّة في الألفاظ المعرّبة:

إنّ هذا التفاعل التاريخيّ- بكلّ صوره وأشكاله- بين الأمتين العربيّة والفارسيّة على امتداد العصور، أدّى إلى نفاذ مئات من المفردات الفارسيّة في اللسان العربيّ، ولا يخفى وجود الألفاظ المعرّبة في الشعر الجاهليّ وفي القرآن الكريم، ومن الدخيل الفارسيّ^{١٤} الذي ورد في الشعر الجاهليّ وفي القرآن الكريم: لفظة الإبريق (س الواقعة، ي ١٧-١٨)، معرّب "آب ريز" (آب= الماء وريز من ريختن: الصب)، والاستبرق أي الديباج الصفيق الغليظ وهو معرّب "استبر"، ورد في (الرحمن/٥٤، والكهف/٣١، والدخان/٥٣، والإنسان/٢١)؛ ولفظة السجّيل (الفيل/٤، وهود/٨٠، والحجر/٧٤) حجارة كالطين اليابس أصلها "سنگ" و"گل" أي الحجارة والطين، ولفظة سُرّادق (الكهف/٢٩)، أصلها في الفارسيّة سردر أو سراپردة؛ والمِسك (المطففين/٢٤)، أصلها الفارسيّ مِسك، ولفظة المقاليد، أي المفاتيح (الشورى/١٢، والزمر/٦٣)، واحدها الإقليد والمقليد، أصله كليلد الفارسيّ، وقال ابن منظور في مادة قَلَد، إنّ اللفظ مشترك بين الفارسيّ والروميّ واليمنيّ والكرديّ.

١. انظر بشأن هذين الكتابين وكتب على بن عبدة الأخرى: الفهرست، ص ١١٩.

٢. الفهرست، ص ١٢٠.

ومن الألفاظ ما حافظ على صورته ولفظه، ومنها ما يصعب تشخيصه، نظراً للتغيرات الكبيرة التي طرأت على اللغة الفارسية - حروفاً وقواعد - من جهة - أو لما شاب - من جهة أخرى - هذه المفردات من تصحيف أو تحريف، أو داخلها من قلب أو إبدال، عندما تصرّف بها العرب لتتلاءم والجرس الموسيقى للغة العربية، من خلال:

- حذفهم من الأصل الفارسي للكلمة، أحرفاً من أولها، أو من وسطها، أو من آخرها، فقالوا: مارستان، من بيمارستان [مشفى أو مستشفى]، وشفارج، في شباره [الطبق عليه القصاع]، وجلوز معرّب بندق، جالفوزه معرّب چلغوزه [حبّ الصنوبر الكبار، وقيل البندق، علماً أن بندق أصلها هندي دخلت الفارسية ومنها دخلت العربية].

- زيادتهم حروفاً على الأصل الأعجمي: فقالوا: ترّهات، في: راه [طريق].

- إبدالهم الحروف - وهو كثير - فاستبدلوا:

بالجيم الفارسية (ج) الصاد أو الشين.

بالكاف الفارسية (گ) الجيم: گرگان: جرجان، أو الغين: گربال غربال.

بالحاء الحاء، خربا، حرباء.

بالباء الفارسية (ب) الفاء: أصيهان: إصفهان، پنگان: فنجان، بوز: بوز.

بالكاف القاف: گربه: قريج وقربق (أى الحانوت)، خندك: خندق.

بالسين الصاد: ساروج: صهريج.

بالتاء الطاء: تهران: طهران، تباشير: طباشير.

بالشين الزاي أو السين: شكر: سكر، مشك: مسك، بنفشه: بنفسج...

إلخ.

- زيادتهم "جيمًا" أو "قافًا" في آخر الألفاظ المنتهية عموماً بالهاء، فقالوا: برنامہ: برنامج، باشه: باشق.

- تصرفهم باللفظة الواحدة بوجوه عديدة، فقالوا في: تَن پَرور، تنبور وتنبَل وتنبال وتنبول وتنتل (وهو المذموم القصير القائمة) أو (الكسلان في العامية). - اشتقاقهم أفعالاً، ليس

١. انظر: الخفاجي: "شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل"، ص ٣، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٠هـ.

من الألفاظ المعرّبة فقط، بل ربما في اللفظ الفارسيّ الصرف، كقولهم من لفظة "جندره" (الخشبة التي يُطرق أو يُصقل بها القماش): جندَر الكتاب، أى أمر القلم على ما درس منه لُتبيّن، وإذ به يصبح: جندَر يُجندِرُ جندرة، والأمر: جندِر يا فلان الملاحظ في المرحلة الأولى من التفاعل، أن العرب استخدموا المصطلحات الأجنبية، بعد أن أخضعوها لأنظمة تلفظ العربية، وأوزانها.

استخدموا للخمرة الباذق^{٤٩} تعريباً لـ "باده" الفارسيّة وصرّفوها كما يُصرّفون اللفظ

العربيّ الأصيل، والبيادقة: الرجالة، والبيدق حجر الشطرنج، وقال المتنبي:

أُبدِرُ ومعى سيفي، وقاتل حتى قتل، والبذرقة = الخفارة، تعريب بدرقة بالفارسيّة..

وقالوا الدهقان وأصلها "دهگان" مالك الأرض، وجمعوها: الدهاقنة؛ وعربوا الأعياد

الفارسيّة واشتقوا منها أفعالاً ومصادر: فقالوا النيروز "نوروز" وقالوا نورزنا، والسّدق

والسّدق^{٥٠} (تعريب سدّه أحد أعياد الفرس)، ومهرجان^{٥١}، (تعريب مهرگان، أحد أعياد

الفرس)، وقالوا مَهْرَجَ وَتَمَهْرَجَ، واخذوا لفظة "مَهْر" (الخاتم بالفارسيّة) وبنوا منه فعلاً، وقالوا

مَهْرَ، وربما جاءت لفظة المَهْر بمعنى الصّدق من مَهْر (أى المحبّة والعلاقة الخاصة)..

واستعملوا لمائدة الطعام لفظة "الخوان"^{٥٢}، وجمعوه الأخونة ولفظة "الطاجن"^{٥٣}، معرّب

"تايه"^{٥٤}، والجوزينق^{٥٥}، (حلولى معرّب "گوزینه" والفالودج^{٥٦}، والفالودق (نوعٌ من الحلواء

معرّب "بالوده"، وجمعوه الفواليد..

وذلك على غرار ما هو حاصل في أيّامنا هذه من تطويع النحت اللغويّ العربيّ بعض

الألفاظ الأجنبية للاشتقاق، فقالوا: تَلْفَنُ يُتَلْفَنُ تَلْفَنَةً، من "تلفون"، أى الهاتف، ودبّلج يُدبّلجُ

دبّلجةً من "دوبلاج"، الإنطاق بلغة أخرى (كما في المسلسلات التلفزيونيّة المدبلجة).

والحقيقة أنّ هذا التكييف التناغمي الذي طرأ على المفردات الأعجميّة عند دخولها

العربيّة، هو ضرورة لا بُدّ منها، لأنّ أيّ لغة عندما تستعير بعض المفردات من لغة أخرى،

فإنّها تُجرى على تلك المفردات عمليّة تُسمّى: "التكييف التناغمي" قبل أن تُطلقها في

محيطها الجديد، ذلك أن لكل لغة جرساً موسيقياً خاصاً بها، يرفض الوثام إلا مع من يجيد العزف على أوتار اللغة والتجاوب (التناغم) معها.

في العصر العباسي تجاوز تأثير الآداب والحكم الفارسية التي تُرجمت بالعربية النثر إلى الشعر، وبما أن المجتمع العباسي قد تأثر بالآداب والتقاليد والعادات الفارسية، كان من الطبيعي أن ينساق الشعر أيضاً في هذا التيار، فبتأثر بهذا اللون الجديد من الحضارة وهذه الثقافات المختلفة الطارئة. ويظهر هذا التأثير في شعر أبان اللاحقي (ت ٢٠٠هـ)، الذي اتصل بالبرامكة ومدحهم ونال جوائزهم، ووفق إلى نظم الشعر التعليمي الذي يوافق هوى لدى أسياده، ويكاد الرواة يتفقون على أن أكثر شعر أبان إنما هو مزدوج و مسمط وربما كان سبب ذلك أنه قد قصر هممه على نظم المتون الفارسية التي ترجمها ابن المقفع وأقرانه باللغة العربية. ولعل أول كتاب فارسي نظمه أبان هو كليله ودمنه^١، في ما يقارب خمسة آلاف بيت، بأسلوب المزدوج [دوبيت]، ولم يبق منها إلا ستة وسبعون بيتاً تتعلق ببابي الأسد والثور، وبعثة برزوية وقد أوردتها الصولي في كتابه الأوراق^٢. وفي مستهل منظومته يصف الكتاب بأنه كتاب أدب ومحنة، فيه دلالات وفيه رشد، وهو كتاب وضعته الهند، يسير الحفظ، وهذا يشير إلى أن الغاية من نظم الكتاب إنما هي تسهيل معانيه وبسط أفكاره. نظم أبان كذلك عدداً من الكتب الفارسية ذكرها ابن النديم^٣ فضلاً عن كليله ودمنه، كتاب سيرة أردشير، وكتاب سيرة أنوشيروان وكتاب بلوهر وبروانيه، وكتاب مزدك وغيرها. نقلت المصادر كذلك أشعار محمود الوراق (ت ٢٢١هـ)، ذي الأصل الفارسي الذي عاش في هراة، ونظم في وقت مبكر شعراً باللغة الفارسية كما يرى الدكتور ذبيح الله صفا^٤، والمهم في شعره التيار الفارسي الحكمي، فقد أدخل الكثير من معاني الفرس وحكمهم في أشعاره الزهدية والوعظية.

١. طبقات الشعراء، ص ٢٤١.

٢. الصولي، ص ٤٧ - ٥٠.

٣. الفهرست، ص ١١٩.

٤. تطور الشعر الفارسي "بحث الدكتور ذبيح الله صفا في مجلة الدراسات الأدبية، السنة الثالثة، العدد الأول

(ربيع ١٩٦١م)، ص ٩٥.

بشّار بن برد (١٦٧هـ)، هذا الشاعر الفارسيّ الأصل، الذي كان مضطرب العقيدة، كانت شخصيته الشعرية متكاملة. احتلت المرتبة الأولى بين الشعراء حيث كانت تندفق حيوية ونشاطاً... وقد تأثر بشّار بنهج حكماء فارس، من ذلك قوله على سبيل المثال:

لا ينفع المرء مال والده غدا عيياً وينفع الأدب

وقد حكى بشّار بذلك قول بزجمهر "ما ورثت الأباءُ الأبناءَ شيئاً أفضل من الأدب؛ لأنّها تكتسب المال بالأدب، وبالجهل تتلفه، فتعقد عدماً منهما"^١.

بژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

أبو العتاهية (ت ٢١١هـ).

بإمكان الباحث أن يتبين بسهولة تأثير الثقافة الفارسية في موضوع الآداب والحكم والنصائح في غير قليل من أشعاره، لا سيما في الأرجوزة التي تبلغ أربعة آلاف بيت، استقى كثيراً من جوانبها من أمثال الفرس وحكمهم.^٢

٩٢

أبو نواس: حين يقرأ الباحث ديوان أبي نواس تطمح نفسه لرؤية آثار الآداب والحكم الفارسية واضحة جلية في أشعاره، فمن ناحية كانت حكم الفرس عنصراً أساسياً في هذا العصر من عناصر تثقيف الكتاب والمتأدبين، ومن ناحية أخرى أصول أبي نواس الفارسية. لقد وصلت إلى أيدينا أشعار له، تدل دلالة قاطعة على اقتباسه من هذه الآداب والحكم واغترافه من معينها، ولعلّ من ذلك قوله ناصحاً:^٣

خلّ جانبك لرام وامضِ عنه بسلام

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ لك من داءِ الكلام

رُبما استفتحتَ بالمزح مغاليقَ الحمامِ

رُبّ لفظٍ ساقَ آجالَ نيامٍ وقيامِ

١. ابن قُتيبة: عيون الأخبار، مج ٢، ص ١٢٠.

٢. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ١٤١.

٣. الديوان، ص ٦٢٠.

إِنَّمَا السَّالِمَ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ
فَالْبَسَ النَّاسَ عَلَى الصَّحَّةِ مِنْهُمْ وَالسَّقَامِ
وَعَلَيْكَ الْقَصْدَ إِنَّ الْقَصْدَ أَبْقَى لِلْجَمَامِ

والآداب التي تنطوي عليها تلك الأبيات لا تختلف في طبيعتها ومطالبها عن الآداب التي أشاعها ابن المقفع في مترجماته ومصنّفاته. من نحو قوله في الأدب الكبير^١ "إن غلبت على الكلام وقتاً، فلا تغلبن على السكوت؛ فلعله يكون أشدهما لك زينة، وأجلبهما لك مودة، وأبقاهما للمهابة، وأنفاهما للحسد". والمعنى الذي انطوى عليه البيت الأخير مأخوذ حتماً من قول ابن المقفع في الأدب الصغير^٢ "اقتصاد السعي أبقى للجمام، وفي بعد الهمة يكون النَّصَب...".

ومن أشعار أبي نواس التي جرى حكمة الفرس قوله في الإخاء:^٣

لا أعير الدهر سمعي	ليعيبوا لي حبيبا
لا ولا أذخر عندي	للأخلاء العيوباً
فإذا ما أكن كوناً	قمت بالغيب خطيباً
أحفظ الإخوان كيما	يحفظوا مني المغيباً

ولا يخفى أن أبا نواس قد استعار معانيه في هذه الأبيات من قراءاته لآداب الفرس وحكمهم التي استطاع ابن المقفع وأضرابه أن يقدّموها سائغة شهية على مائدة الثقافة العربية. فقد جاء في الأدب الكبير قوله:^٤ "استح الحياء كلّ من أن تخبر صاحبك أنك عالم، وأنه جاهل، مصرحاً أو معرضاً"، وقوله^٥ "تحفظ في مجلسك وكلامك من التناول

١. محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ص ٩١.

٢. المصدر نفسه، ص ١٦.

٣. الديوان: ص ٣٩.

٤. رسائل البلغاء، ص ٧٤.

٥. المصدر نفسه، ص ٧٣.

على الأصحاب، وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول مداراةً لئلا يظن أصحابك أن ما بك التناول عليهم".

وثمة مظهر آخر من مظاهر تأثر أبي نواس بثقافة الفرس وآدابهم وحكمهم، يدل دلالة قاطعة على أن هذا الشاعر، كان على قدر كبير من الإلمام بالثقافة الشعبية الفارسية. فقد كان يحفظ كثيراً من الأقوال الحكيمة، والأمثال السائرة، التي كان الفرس يتداولونها في حياتهم اليومية وفي مجالس حديثهم وسمرحهم. وقد ضمّن أشعاره بعضاً منها. فمن ذلك قوله:

كنتُ من الحبِّ في ذرى نيق ارود منه مراد موموق
حتّى نفانى عنه تخلقُ واشٍ كذبةً، لَهَا بتزويقِ
كقول كسرى، فيما تمثله: من فُرص اللصِّ ضجّةُ السوقِ

فالمثل الذي ذكره أبو نواس في البيت الأخير، ونسبه إلى كسرى، هو ترجمة لمثل فارسيّ، لا يزال الفرس يرددونه في حياتهم العادية، فيقولون "دُزدی آشفته بازار را میخواهد" [من مصلحة اللص زحام السوق].

ومن هذا القبيل أيضاً متغزلاً:^٢

سألتهما قبلةً ففزتُ بها بعد امتناعٍ، وشدةِ التعبِ
فقلتُ: لا لله يا مُعذبتى جودى بأخرى أقضِ بها أربى
فابتسمتُ؛ ثمَّ أرسلتُ مثلاً يعرفه العجمُ، ليس بالكذبِ
"لا تُعطين الصبيَّ واحدةً يطلبُ، أخرى بأعنفِ الطلبِ"

ومن حُسن الحظ أن الشاعر لا يغفل عن ذكر تابعية هذه الأمثال للفرس. ونحن لا نشكّ في أن أبا نواس، الذي انفرد بهذه الطريقة في بثّ الأمثال، إنّما أخذها عن صنعة أرسلها المثل. التي يعرفها الفرس في ذلك الزمان.

١. الديوان، ص ٤٥٠ - ٤٥١.

٢. الديوان، ص ٢٧٤.

ولعلّه يبدو واضحاً بعد هذا أنّ في أشعار أبي نواس ما يدلّ دلالة قاطعة على تأثره بالآداب والحكم والأمثال الفارسيّة وتفويته ظلالها الوارفة، وغرفه من معينها النثر.

٦. صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٧هـ).

بصرى المولد والنشأة. اختلف في أصله، فقال بعضهم إنّه عربىّ من الأزدي، فى حين يرجّح الدكتور شوقى ضيف أنّ يكون فارسىّ الأصل، وتربطه بالأزد رابطة ولاء^١. وهو ممن وُجّهت إليهم تهمة الزندقة. وهذا يعنى - إن صحّ - أنّه شريك بشار بن برد فى عقيدته الثنوية. ويبدو أنّ هذه العقيدة قد خالطت شغاف قلبه، وبلغت منه مبلغاً عظيماً، حيث تعدّى إيمانه بها حدود الاعتقاد الشخصىّ المتكتم عليه، إلى الدعوة إلى مذهبه جهاراً نهاراً. وفى ذلك يقول بروكلمان^٢ "وكان يُلقى دروساً بالبصرة فى فضائل مذهب الثنوية الفارسيّ. وطبيعىّ أنّ يلحق صالحاً ما يلحق أصحاب الدعوات الخطيرة والمذاهب الوافدة فى كلّ زمان من عنت ومشقة. فقد ولى وجهه شطر دمشق؛ لأنّه غدا من طريدى السلطان، وربما حصائد سيفه لو أدركه. وتذكر المصادراً أنّ الخليفة المهديّ أو لعلّه الرشيد بعث فى طلبه، فأحضر بين يديه، وصلب بسبب معتقده - بحسب أكثر الروايات - سنة سبع وستين ومائة هجرية فى بغداد. وإذا كانت ثمة آراء فى السبب المباشر لقتله، وفى شخص الخليفة الذى حاكمه وأصدر حكمه فى حقّه، وفى سنة القتل، فإنّ الكلمة السواء بين الباحثين والمؤرّخين، قدماء ومعاصرين، هى أنّه كان زنديقاً ومارقاً. يقول شوقى ضيف^٣ "ومما لا شكّ فيه أنّه كان زنديقاً مانويّاً كبيراً، بل لقد كان رأس المانوية، والمجادل عن عقيدتهم فى البصرة حُقباً متطاولة". والمعتقد لدينا أنّ صالحاً لم يأخذ عن الفرس اعتقادهم بأنّ العالم تتنازعه قوتان كبيرتان، هما: الخير والشرّ فحسب، بل يبدو أنّه قرأ

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

١. شوقى ضيف، م. س، ص ٣٩٣.

٢. تاريخ الأدب العربىّ، ج ٢، ص ١٧ - من الترجمة العربية ١٨.

٣. شوقى ضيف، م. س، ص ٣٩٧.

كتبَ آدابهم وِحِكْمهم وأمثالهم، وتصفَّح عقول مفكريهم، فاقتبس منها الشيء الكثير. يقول أبو هلال العسكري^١ "وسمعتُ أبا بكر ابن دريد يقول: اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس - وهو رجل من شعرائهم - ألفٌ مثل للعرب وألفٌ مثل للعجم. ويؤيد هذا من بعض الوجوه، أن الإيمان بعقيدة الفرس والتدين بدين المجوس، كان يقتضى من صاحبه إماماً بآدابهم وِحِكْمهم وثقافتهم؛ ذلك أن هذه الآداب لا بدّ من أن تكون مستوحاة من روح العقيدة الثنوية، ومستشرفةً آفاقها القريبة والبعيدة. وقد ثبت ذلك بالدليل القاطع من المحاكمة التي أجريت للأفشين - قائد الخليفة المعتصم - الذي هو نفسه يدين بدين المجوس، والذي يقول الأستاذ أحمد أمين في شأنه^٢ "... وأتهم كذلك بأنه عُثر في بيته على كتاب قد زُين بالذهب والجوهر والديباج فيه كفرٌ بالله. وردَّ على هذه التهمة بالإقرار بها، وأنه ورث الكتاب عن آبائه، والكتاب فيه أدب من آداب العجم، فيه كفرٌ، فانتفع بما فيه من أدب، وترك ما فيه من كفر".

بژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وهكذا فإنَّ العنصر الثقافيَّ الفارسيَّ يمثِّل تياراً قوياً في ثقافة الرجل، ولا بدّ من أن يترك ألوانه وأصداءه في ما خلف من أشعار، حفظتها له المصادرُ الأدبيةُ والتاريخيةُ. وتذكر الرواياتُ أنَّ صالحاً خلف ديواناً من خمسين ورقة^٣. استنفذه في موضوع الحكِّم والآداب ومكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلَّى بها الناسُ. ولعلَّ في هذا ما يغضُّ من قيمة أشعاره ويحطُّ من دركها. وفي هذا يقول الجاحظ^٤ "وقالوا: ولو أنَّ شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربريَّ، كان مفرَّقاً في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق. ولكنَّ القصيدة إذا كانت كلِّها أمثالاً لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر. ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع".

١. التحفة البهية، ص ٢١٧.

٢. ضحى الإسلام، ج ١، ص ١٤٣.

٣. ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٣.

٤. البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤١.

ولعلّ من ملامح تأثره بحكمة الفرس وآدابهم إيثاره العزلة والانفراد، وعزوفه عن مخالطة أصحاب الجاه والسلطان، لأنّها في رأيه ركوب غرر ومجلبة خطر. فقد كان لسان مقاله يردّد^١:

أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي فتمّ العزُّ ونما السرورُ
وأدبني الزمانُ فليتْ أني هُجرتُ فلا أزار ولا أزورُ
ولستُ بقائلٍ ما دمتُ حيًّا أقامَ الجندُ أمْ نزلَ الأميرُ

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وتحدّر الحكمُ الفارسيّة كثيراً من مصادقة الحمقى والمغفلين، وترى أنّ معاداة العاقل خيرٌ من مصافاة الجاهل. وفي شعر صالح ما ينم على هذه الفكرة بوضوح تام حيث يقول:^٢

المراءُ يجمعُ والزمانُ يُفرِّقُ ويظلُّ يرقعُ والخطوبُ تُمزقُ
ولأنّ يعادى عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديقٌ أحمقُ
فاربأ بنفسك أن تصادقَ أحمقاً إنّ الصديقَ على الصديقِ مصدقُ

٩٧

وتقييم حكمة الفرس كبير وزن لقضية الحظوظ، وتذهب إلى أنّ الرزق مقدرٌ مقسوم، وتنكر أنّ يكون رزق الإنسان تبعاً لعقله. وفي هذا يقول صالح بن عبد القدوس:

وما الإنسانُ إلاّ عاملانِ فعاملُ قد ماتَ منْ عطشٍ وآخر يغرقُ
والناسُ في طلبِ المعاشِ وإنّما بالجدِّ يُرزقُ منهم منْ يُرزقُ
لو يرزقون الناسَ حسبَ عقولهم ألفتُ أكثرَ منْ ترى يتصدّقُ

ومما أثير عن الفرس في هذا المعنى ما يُقال إنّ كسرى أنو شروان كتب إلى بزرجمهر، وهو في الحبس 'كانت ثمرة عملك أنّ صرت أهلاً للحبس والقتل. فكتب إليه بزرجمهر: أمّا لَمّا كان معي الجدُّ فقد كنتُ أنتفع بثمره العلم، فالآن إذ لا جدّ معي فقد صرت أنتفع بثمره الصبر، مع أنّي إنّ كنتُ قد فقدتُ كثير الخير، فقد استرحتُ من كثير الشر'.

ويلمح قارىء أشعاره خصائص النفس الفارسيّة واضحة جليّة، كما في قوله من قصيدته المسماة "الزينية":

١. المصدر نفسه، ص. ن.

٢. المصدر نفسه، ص. ن.

وأبدأ عدوك بالتحية ولنكن
 منه زمانك خائفاً تترقبُ
 واحذرهُ إن لاقيته مُبتسماً
 فالليثُ يبدو نأبه إذ يغضبُ
 إن العدوَّ وإن تقادمَ عهدهُ
 فالحقدُ باقٍ في الصدورِ مُغيَّبُ

فإنَّ هذا يشبه إلى حدٍّ بعيد ما جاء في الأدب الكبير لابن المقفع من قوله في معاملة العدو^١ "واعلم أنه أعظم لخطرِك أن تريبه أنك لا تتخذهُ عدوًّا؛ فإنَّ ذلك غرَّة له وسبيل لك إلى القدرة عليه. فإن أنت قدرت فاستطعت اغتفاراً لعداوته عن أن تكافى بها، فهناك استكملت عظيم الخطر"، وكذلك قوله^٢ "... وإن ابتليت بمجازاة عدو... فعليك بالحدز في أمرِك، والجرأة في قلبِك، حتى تملأ قلبك جراءةً، ويستفرغ عملك الحدز".

والحقيقة أن قدرًا كبيراً مما يدور في هذه القصيدة من حكم وآراء صائبة، قد استقاه الشاعر من معين الحكمة الفارسيَّة وينايعها الثرة. ومن ذلك قوله في مصاحبه الكذوب:^٣

دَعِ الكذوبَ فلا يكنْ لكَ صاحباً
 إنَّ الكذوبَ يشينُ حُرّاً يصحبُ

فإنَّ هذا يشبه قول ابن المقفع في الأدب الكبير^٤ "إذا نظرت في حال من ترتبه لإخائك، فإن كان من إخوان الدين، فليكن فقيهاً ليس بمراء ولا حريص، وإن كان من إخوان الدنيا، فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب، ولا شرير، ولا مشنوع... وإن الكذاب لا يكون أحاً صادقاً؛ لأنَّ الكذب الذي يجرى على لسانه إنما هو فضول كذب قلبه، وإنما سمى الصديق من الصدق، وقد يُتهم صدق القلب، وإن صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان".

ومن آيات تأثره بحكمة الفرس أيضاً، قوله:^٥

لا تجد بالعطاء في غيرِ حقِّ
 ليس في منع غير ذى الحقِّ بخلُ
 إنما الجودُ أن تجودَ على مَنْ
 هو للجود منك والبذلِ أهلُ

١. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٢٦.

٢. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٢، ص ٤٠٥.

٣. م.ن، ص.ن.

٤. رسائل البلغاء، ص ٧٧.

٥. النويري، نهاية الارب، ص ٣ ص ٨٢.

وقد أشارت الحكم الفارسيّة إلى هذا المعنى، حيث جاء في آداب بزرجمهر سبع خصال من طباع الجهّال: الغضبُ في غير شيءٍ والإعطاءُ في غير حقٍّ، وقلةُ المعرفةِ بأنفسهم، ولا يُفترقون بين عدوّهم وصدّيقهم، والتصنّع للأشْرار، وكثرة الكلام في غير نفع، وحُسن الظنِّ بمن ليس لذلك بأهلٍ. "ومن ذلك أيضاً ما جاء في الأدب الكبير^٢: "واعلم أنّك ما شغلتَ من رأيك في غير المهمّ أزرى بالمهمّ، وما صرفتَ من مالِكَ بالباطل، فقدتَه حين تريده للحقّ".

ويقول ابن عبد القدوس^٣:

إِنَّ الْغَنَىَّ مِنْ الرِّجَالِ مُكْرَمٌ وَيَبِشُّ بِالترْحِيبِ عِنْدَ قَدُومِهِ
وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ
وتراه يُرجى ما لديه ويُرهَبُ
ويُقَامُ عِنْدَ سِلامِهِ وَيُقَرَّبُ
حقاً يهونُ به الشريفُ الأنسبُ

وفي هذا المعنى جاء في الأدب الصغير لابن المقفّع^٤ "ما التبع والأعوان والصدّيق والحشم إلاّ للمال. ولا يُظهر المروءة إلاّ المال. ولا الرأى ولا القوّة إلاّ بالمال... والفقر داعية إلى صاحبه مقتّ الناس، هو مسلبةٌ للعقل والمروءة، ومذهبةٌ للعلم والأدب، ومعدن للتهمة، ومجمعةٌ للبلايا".

ويقول في مقام آخر^٥:

إِذَا قَلَّتْ قَدْرُ أَنْ قَوْلِكَ عَرْضَةٌ
وَأَنْ أَمْرًا لَمْ يَخْشَ قَبْلَ كَلَامِهِ
لبادرة أو حجةٍ لمخاصم
الجوابَ فينهى نفسه غير حازم

في ذلك يقول ابن المقفّع^٦. "فإن لم يخصّ السائلُ في المسألة رجلاً واحداً، وعمّ بها جماعة من عنده، فلا تبادلُ بالجواب، ولا تسابقُ الجلساءِ توابث الكلام مواتبة؛ فإنّ في ذلك، مع شين التكلّف والخفّة، أنّك إذا سبقت القول إلى الكلام، صاروا لكلامك خصماء،

١. الحكمة الخالدة (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، ص ٣٧.

٢. رسائل البلغاء، ص ٤٨.

٣. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٢، ص ٤٠٥.

٤. رسائل البلغاء، ص ٣٤.

٥. ياقوت: معجم الأدباء، ج ١٢، ص ١٠.

٦. رسائل البلغاء، ص ٦٢-٦٣.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

فيتعقبونه بالعب والطن". وهكذا فإنَّ معظم أشعار صالح ابن عبد القدوس إنما يجرى في هذا المضمار، ويصاغ على هذا الغرار. ولولا عبقريته الفذة، وقدرته النادرة على تطويع معاني الفرس وإخضاع أفكارهم الحكيمة لريشته الصَّنَاع وفنّه المبدع، لأبرزت هذه المعاني والأفكار صدق انتمائها الفارسيّ، كما تسفر العروس عن وجهها ليلة جلوتها.

٧. العتّابي (ت ٢٠٨هـ):

بيژوهشنامه تاريخ تشيع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

لم يقيض لحكم الفرس وآدابهم أن ترتسم في ذهن واحد من الشعراء الكتاب في العصر العباسي كما ارتسمت في ذهن كلثوم بن عمر العتّابي. ففي حين اكتفى ابن المقفع بما نقل وترجم من هذه الحكم والآداب، ووقف حظ سهل بن هارون عند التقليد والمعارضة لها، وقف العتّابي من هذه الحكم والآداب موقفاً مغايراً؛ ذلك أن تأثر هذين الرجلين بحكم الفرس وآدابهم يبدو أكثر اتصالاً بالناحية الشكلية منه بالمضمون، أمّا العتّابي، فقد عاشت معاني الفرس في نفسه، وتلجلجت في صدره طويلاً، ففتقت لسانه ببدائع الحكم وروائع الكلم.

١٠٠

وقد كان العتّابي ملماً بالفارسية إلى الدرجة التي تسمح له بمراجعة النصوص والمصنّفات الفارسية في لغتها الأصلية. ويؤخذ من رواية طيفور أن إعجاب العتّابي بمعاني الفرس وتعلّقه بها، جعله يشدّ الرحال إلى مرو ثلاث مرّات؛ ليُدوّن كتب العجم. وحين سُئل عن ذلك قال "وهل المعاني إلاّ في كتب العجم؟ وعن البلاغة قال: "اللغة لنا، والمعاني لهم".^١

فالرجل إذاً كان معجباً بمعاني الفرس، وقد تحمّل في الحصول عليها وعناء السفر ومشقة الغربة. ولقد كان ما قال العتّابي في بلاغة الفرس ومعانيهم حقيقة لا مرّاء فيها بالنسبة إليه، فقد نهل منها ما لذّ وطاب، واقتبس من أفكارهم وحكمهم وآدابهم الشيء الكثير. وكان يحسّ بفيض من الأفكار والمعاني يتثال على حافظته حين يهّم بالكتابة في موضوع من الموضوعات. يقول ابن المدبّر في الرسالة العذراء^٢. حدّثنا صديق للعتّابي، قال له: اعمل لي رسالة، واستمدّه مرّة بعد أخرى فقال له: ما أرى بلاغتك إلاّ شاردة. فقال العتّابي لما تناولت

١. تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٥٧ - ١٥٨.

٢. محمد كرد علي: رسائل البلاغ، ص ٢٤٤.

القلم، تداعت على المعاني من كل جهة، فأحببت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه. ثم أجتني لك أحسنها. ويخيل إلينا أن ما ذكره ابن المدبر عن العتّابي إنما هو إحساس يمكن أن ينتاب كل من أطلع على معاني الفرس وحكمهم وآدابهم في لغاتها الأصلية؛ ذلك أن ابن المقفع الذي سبق العتّابي في التلمذة على الحكمة الفارسية، كان له موقف مشابه، حيث يقول "إن الكلام يزدحم في صدري فأقف لتخيره".

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

١٠١

والحق أن العتّابي قد تأثر بقوة بجنس الحكم والآداب عند الفرس أو باتجاهه العام، فكان له في هذا الموضوع كتابان نوه المؤرخون بهما، وهما: كتاب الآداب، وكتاب فنون الحكم. وإذا كانت حُجُبُ الضياع والفقدان قد لفت هذين الكتابين وغيبتهما عن أنظار الباحثين والمتأدبين، فإنه قد بقيت من آثار هذا الرجل بعض الشذرات والحكم والأقوال البليغة والأشعار الرائعة، تكشف - بعض الشيء - عن مبلغ تجويده وتحبيره في فن الحكم، واتكائه فيه على معاني الفرس وأفكارهم. ومن حسن الحظ أن أغلب هذا المتبقي إنما يدور في فلك الحكم والآداب والأقوال البليغة المؤثرة، التي لا يخرج فيها العتّابي عن إطار الموضوعات التي عالجتها الحكمة الفارسية المترجمة في ذلك العصر. فمن أقواله في السياسة الملوكية "مما يعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى، وإطراح من يقبل الرشا، واستكفاء من يعدل في القضية، واستخلاف من يُشفق على الرعية"^١. وقد جمع العتّابي في هذه النصيحة مؤهلات من يتولى أمر الرعية، ويعرف أمورها. وقسم فكرته إلى معانٍ جزئية؛ ليستكمل أبعاد الفكرة التي طرحها. ولعل القارى يدرك هذا الميزان الدقيق، الذي وزن العتّابي به معانيه وألفاظه فجاءت ألفاظه على أقدار معانيه من جهة، ثم كانت هذه الألفاظ متوازنة متساوية مزدوجة في ما بينها. هو مطمحٌ قل أن يصل إليه طلابه. وقد بدد العتّابي جفاف الفكر وبرودة المنطق في الوصية هذه باستخدامه الترادف الصوتي، واستخدامه جمال الجرس، الذي تأتي له من طريق الإكثار من المُدود والحروف المشددة.

١. أسامة بن منقذ: لباب الألباب، ص ٥٥.

أما الأثر الفارسيّ في هذه الوصية فيبدو في الغرض العامّ، الذي نواجه أمثاله في ما بين أيدينا من وصايا ملوك فارس وعهودهم، أو في هذا التقسيم والتفريع لفكرة المحافظة على العدل في دولة يُرام لها البقاء والاستمرار.

ولقد كان العتّابي يقرن القول بالعمل، وينفّذ بدقّة ما تعلّمه من حكم الفرس وآدابهم، فمثلاً: تنفّر الحكم والآداب الفارسيّة من صحبة السلطان، وترى أنّها كركوب البحر، ليست مأمونة المغيبة، وقد اتخذ العتّابي في الحياة موقفاً مستمداً من هذه الفكرة في ما نعتقد. فحين سئل عن عدم كتابته للأمير أو دخوله في خدمته، قال "انّي رأيته يعطى رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب، فلا أدري أيّ الرجلين أكونُ عنده، مع أنّ الذي أعطى في ذلك أكثر من الذي أخذ - يريد مهجته وركوب الغرر فيها معه"^١. ولا يمكن تفسير ذلك إلاّ في ضوء ما انتشر من آداب الفرس في هذا العصر، تلك التي تحذّر من صحبة الملوك، وتحدّد شروطاً من الأخلاق في من يعدّ نفسه لصحبتهم، كالذي يُروى من أنّ بزرجمهر سئل: أيّ التعب أدوم؟ - فقال: صحبة السلطان السيّء الخليفة^٢. "وأنه سئل" أيّ شيء أسرع تقلّباً؟ - قال: قلب الملوك^٣. ومن هذا القبيل أيضاً الحكمة الفارسيّة التي وردت في الأدب الكبير^٤ "لا تكوننّ صحبتك للملوك إلاّ بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتك في ما خالفك، وتقدير الأمور على ميلهم دون ميلك".

ويجد الباحث كلاماً للعتّابي في البلاغة والبيان. وهما من الموضوعات البارزة في حكم الفرس. ويبدو ثابتاً أنّ العتّابي قد استفاد في هذا الموضوع من اطلاعه على بلاغة الفرس ووصايا بلغائهم، من ملوك ووزراء وكتّاب.

بژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. القرطبي: بهجة المجالس، ص ٣٤٨.

٢. الحكمة الخالدة (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، ص ٣٦.

٣. المصدر السابق، ص ٣٦.

٤. رسائل البلغاء، ص ٦٩.

ومن ذلك قوله "الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإن قَدِّمَتْ منها مؤخرًا، أو أخرت منها مقدمًا أفسدت الصورة، وتغيّرت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية".^١ ولعلّه غير خاف أن فكرة الروح والجسد وصلة أحدهما بالآخر من الأفكار التي أشاعتها حكمة الفرس وآدابهم في هذا العصر.

وتعريف العتّابي للبلاغة يتفق تمامًا والتعريف الفارسي لها. فهو يقول: "البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال"^٢. وهذا لعمرى مشابه لقول الفارسيّ في البلاغة "هي معرفة الفصل من الوصل".

ومن يقرأ شيئًا من آداب العتّابي وحكمه، فإنه يدرك أنه إنما يتعامل مع كلام مغاير لطبيعة كلام العرب، وأنّ النفس التي أبدعت هذه الحكم والآداب لا تقيم أيّ وزن للقيم المعهودة لدى العرب، ولا تحتفي بما عُرف عنهم من تقاليد وروابط قائمة على أساس عصبية الدم. فقد كتب العتّابي إلى مالك بن طوق "أما بعد، فاكتسب أدبًا تحيي نسبًا، واعلم أن قريبيك من قَرَب منك خير، وأنّ ابن عمك من عمك نفعه، وأنّ أحبّ الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك"^٣، ولا ريب في أنّ ذلك من وحي النفس الفارسيّة، التي تبصر الأشياء بمنظار مغاير لمعهد العرب. وحكم العتّابي هذه تشبه إلى حدّ بعيد حكم ابن المقفّع في الأدبين الكبير والصغير ويمكن أن يكون عزوف العتّابي عن مناهج السلف العربيّ، وتخلّقه بأخلاق الفرس، هو الذي حدا بالبرامكة لأنّ ينزلوه مكانًا عليًا، ويخلّدوا كلماته، ويخلّدوا أقواله الحكيمه سويداء قلوبهم. فلقد كان يحيى بن خالد البرمكيّ يقول لولده "إنّ قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتّابي، فضلًا عن رسائله وشعره، فلن تروا أبدًا مثله"^٤.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

١٠٣

١. أبو هلال العسكري: الصناعيتين، ص ١٦٧.

٢. الحصري: زهر الآداب، ج ١، ص ١١٧.

٣. الصناعيتين، ص ٣٣٣.

٤. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٣، ص ٢٥٠.

الحقيقة أن استجابة العتّابي لحكم الفرس وآدابهم، قد تعدّت مؤلفاته النثرية التي ذكرنا بعضاً منها، فقد تركت هذه الحكم والآداب ملامحها وآثارها جلية فيما ترك الرجل من أشعار. وقد ذكر ابن النديم^١ أن شعر كلثوم بن عمر العتّابي مائة ورقة^٢. ولكن لم يبق منه إلا النزر اليسير. وقد ذهب لطلاوته وطرافة معانيه وسهولة حفظه أمثالاً سائرة على ألسنة الناس. ومن يقرأ أشعاره تظالعه هذه النغمة التي يتحسّسها قارىء الحكم والآداب الفارسية. فلقد كان الشكر - مثلاً - من الأغراض البارزة في حكم الفرس وآدابهم كما أسلفنا من قبل. وقد تناولت عبقرية العتّابي هذا المعنى، فقال: ^٢

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجدٌ لعزّة ملك، أو علوّ مكان

لما ندب الله العباد لشكره فقال: اشكروني أيها الثقلان

والصديق الحقّ - في نظر العتّابي - من يحفظ حرمة صديقه في الغيب والشهادة، ولا يستشعر أيّ مودّة إزاء أعدائه. ولذلك فإنّه يقول لصديقه: ^٣

تودّ عدوى ثم تزعم أنّي صديقك، إنّ الرأي عنك لعازبٌ

وليس أخى من ودّنى رأى عينه ولكن أخى من صدّقته المغايبُ

ولعلّ في هذا ما يذكّرنا بآداب الصداقة التي انطوى عليها كتاب الأدب الكبير لابن المقفّع. ومن موضوعات الحكم والآداب الفارسية أيضاً "استنجاح الحاجات" وسبل الوصول إليها. وقد كان للعتّابي في ذلك قسمة وافرة. فهو يرى أنّ هيبة الإخوان كثيراً ما تكون سبباً للحرمان. وقد عبّر عن ذلك بقوله: ^٤

هيبة الإخوان قاطعة لأخى الحاجات عن طلبه

فإذا ما هبت ذا أمل مات ما أمّلت من سببه

بژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. الفهرست، ١٦٣.

٢. القرطبي: بهجة المجالس، ص ٣١٤.

٣. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٣، ص ٦.

٤. الأغاني، ج ١٣، ص ١١٦.

ولنصغ إلى حديث العتّابي في فضائل الكتب، الذي يقول في تضاعفيه^١:

لنا ندماء ما نملّ حديثهم
أمينون مأمونون غيباً ومشهداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى
ورأياً وتأديباً وأمرأ مسدداً
بلا علة تُخشى ولا خوف ريبة
ولا نتقى منهم بناً ولا يداً
فإن قلت: هم أحياء لست بكاذب
وإن قلت: هم موتى، فلست مفنداً

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

والأثر الفارسيّ في الأبيات السابقة واضح بين؛ في هذا التشقيق للمعاني والاستقصاء الذي يحيط بأطراف الفكرة. وكثيراً ما يأخذ العتّابي معنى فارسياً فينظمه عقود حكمة تزدان بها آدابه وآراؤه وأقواله الحكيمه. ففي محاضرات الأدباء للإصفهانيّ أنه^٢ "قيل لابن المقفع: لم لا تطلب الأمور العظام؟ - فقال رأيتُ المعالي مشوبة بالمكاره، فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية، فأخذ العتّابي، وقال:

١٠٥

دعيني تجنّني ميتتى مطمئنةً
ولم أتجشّم هؤل تلك المواردِ
فإنّ جسيماتِ الأمور مشوبةً
بمستودعاتِ في بطون الأسودِ

ولعله لا يخفى علينا هنا أنّ العتّابي قد تَفَفَّ حِكْمَةَ الفرس وآدابهم، وعاشت معانيهم في ذهنه طويلاً، فكان له من ذلك كلّه نثرٌ جارٍ فيه فرسانها، وشعرٌ بارى فيه حدّاقها وجهابذتها.

ظواهر التأثير المتبادل بين الأدبين:

وبتأثير الفرس ظهرت مجموعة من الظواهر في الشعر العربيّ، منها:

١- التوسّع بالغزل المكشوف والجهر بالمشاعر، وكان بشّار بن برد أوّل من فتح باب الخلاعة على مصراعيه، ونتج ذلك من تطوّر المجتمع في وسائل ترفّه وثرائه ونظّم حياته، واختلاط العرب بالفرس، وكثرة الموالى والإماء، وما نقله العرب عن الفرس من ضروب اللّهو.

١. ابن النديم، الفهرست، ج.١، ص ١١.

٢. ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ٢٧٧.

٢- الغزل بالمذكر: وهو نوع جديد من الغزل، وبدعة انتشرت في العصر العباسي نتيجة لعوامل متعددة من زندقة وإباحة^١.

٣- التوسع بالخمريات: كثرت أنواع الشراب، وتعددت مجالسُه، وأقبل عليه بعضهم من غير تأثم، فلهج كثير من الشعراء بذكر الخمريات كأبي نواس، الذي وصف الخمر ومجالسها وكؤوسها وآثارها في النفوس، وسقاتها الندامي والقيان وما شابه ذلك^٢.

٤- زود شعراء الفرس الشعر العربيّ بمعانٍ وأخيلة جديدة، تتوافق والبيئة الحضاريّة للعصر العباسيّ.

٥- أولع بعض الشعراء في هذا العصر بالمحسنات اللفظيّة والمعنويّة، وأغرموا بها، وكان بعضهم يتوخاها توخيًّا، ويتعمدها تعمّدًا، ويتصيدها في حرص شديد عليها، فكلفوا بالجناس الذي تفرّع وتوّع، وتلاعبوا بالألفاظ في حيل شتى.

٦- أمّا بناء القصيدة العربيّة فقد استمرّ بعد الاتصال بالفرس كما كان في العصر الجاهليّ، حتى إنّ الشعراء من أبناء الفرس اقتنوا آثار العرب، فنظموا الشعر الفارسيّ في ما بعد على الأوزان العربيّة.

٧- أضاف الفرس إلى العربيّة كثيراً من المفردات، وزادوا على الأدب العربيّ بعضَ الموضوعات، وولّدوا طرائف من المعاني والخيال، ونافسوا العرب في المنظوم والمنتور، وأغنوا الثقافة العربيّة بمئات المؤلّفات في شتى العلوم، ونقلوا إلى الإدارة والسياسة بعض النظم الجديدة.

٨- انصهر الفرس في بوتقة الثقافة العربيّة الإسلاميّة مدّة ثلاثمئة عام، لكنّهم لم يتركوا فرصة للاستقلال السياسيّ إلاّ انتهزوها، فنشأت الدول المستقلّة عن الدولة العباسيّة، وأشهرها الدولة الطاهريّة والصفاريّة والسامانيّة والغزنويّة والسلجوقيّة، مما أتاح للأدب الفارسيّ فرصة الانبعاث بعدما أخذ كثيراً عن الأدب العربيّ، إذ تأثر الفرس باللغة العربيّة، فتأثر

١. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٧٣.

٢. أبو نواس: شرح ديوان أبي نواس، ج ١، ص ١٨.

تركيب الجملة الفارسيّة بالتركييب العربيّة، ومدّ النثرُ الفنيُّ العربيُّ النثرَ الفارسيَّ بألوانٍ ظهرت في ما كتبه في التاريخ والقصة والمقامة والرسائل الفنيّة، وتأثّر الشعرُ الفارسيُّ كذلك بالشعر العربيّ من حيث الشكل والمضمون، "فأخذ شعراؤهم الشعر العربيّ وقوافيه ومصطلحاته العروضيّة، لكنّ طبيعته ومزاجه، وطبيعة لغته جعلته يُعملُ في بعض الأوزان بعض التغيير والنقص والزيادة، وأنّ يختصّ بزحافات وعلل لا نجدّها في العروض العربيّ"^١. وحاكى شعراء الفرس الشعراء العرب في بناء القصيدة وفي كثير من موضوعاتها- وأخذت الفارسيّة كذلك علم البلاغة كاملاً عن العربيّة، فصارت بلاغة الفرس محاكية لبلاغة العرب حتى بمصطلحاتها، وتردّدت في الأدب الفارسيّ معانٍ وأخيلة عربيّة، "واستعار الفرس الحرف العربيّ، وسُمّيت الفارسيّة المكتوبة بالحرف العربيّ والمحتوية على كلمات عربيّة بالفارسيّة الحديثة أو الفارسيّة الإسلاميّة"^٢، كذلك تأثّر الفرس بالنحو العربيّ في كثير من أبوابه ومصطلحاته، مثل فعل، فاعل، مفعول، النسبة، الجمع... إلخ- وبهذا نشأ الأدب واللغة الفارسيّان نشأة عربيّة وأصابا اتّساعاً وازدهاراً.

في العصر الحديث قلنا إنّ كثيرين من الأدباء احتذوا حذو ابن المقفّع في الكتابة والأساليب وغزارة المعاني، واقتباس الأمثال والحكم من أفواه البهائم والطيور، ومن ثمّ نسجها في أشكال شعريّة ونثريّة... وقد تأثّر الأدب العربيّ الحديث بكليّة ودمته، إذ ترجمها من العرب المحدثين محمّد عثمان جلال (توفي ١٨٩٨م)، فقد ضمّ كتابه العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ كثيراً من حكاياتها وأفكارها؛ واتّسمت حكاياته بالإيجاز، ومن أبرز التقاطع بين حكايات محمّد عثمان جلال والشعر الفارسيّ أنّه نظمها على فنّ المزدوج/المتنوّي، وفي إطار وحدة القافية بين

١. عبد الوهاب عزام، الأدب الفارسيّ، ضمن كتاب "قصة الأدب في العالم" لأحمد أمين وزكي نجيب محمود، دار النهضة المصريّة، القاهرة، مصر ١٩٥٥م، ج ١، ص ٤٤٣ وما بعدها. - دانشنامه جهان اسلام، م. ن، مج ٢، مادّة بحر (البحر الطويل).

٢. إحسان ذو النون الثامري: الحياة العلميّة زمن السامانيين، التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما بين النهرين في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠٠١م، ص ٨٥.

البيتين من دون التزامها في القصيدة كلها كما في قصّة (التعلب مقطوع الذنب)^١، وهنا لا بدّ من أن نذكر أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كتب خمسين قطعة شعريّة على لسان الحيوان، تؤكّد تأثره بحكايات كليلة ودمنة وأفكارها كقصيدته (التعلب والديك)، وفيها يتظاهر التعلب بالتقوى والصلاح، ويتخلّى عن كلّ مكائده وفتكه بالطيور.

أما رباعيّات الخيام لأبي الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوريّ (٤٣٠ - ٤٢٦هـ/١٠٣٨ - ١١٣١م) التي نظمها بالفارسيّة... فإنّ قيمتها الكبيرة في هذه العلاقة التي أوجدتها بين الأدب الفارسيّ والأدب العربيّ ولا سيّما الحديث. لقد أحدثت الرباعيّات نشاطاً أدبياً عظيماً، في الوقت الذي دلّت على نزوع عقليّ امتزج بحسّ مرهف وبعاطفة شفافة في معالجتها للبحث عن سر الوجود: الحياة/الموت. ولهذا فإنّ ترجماتها العربيّة زادت على خمس عشرة ترجمة، منذ ترجمة وديع البستانيّ لها سنة (١٩١٢م)، عن الترجمة الإنجليزيّة التي قام بها فيتزجيرالد عن الفارسيّة - سواء أكانت ترجمة شعريّة أم نثريّة، وإذا كان البستانيّ قد أحال الرباعيّة إلى سباعيّة، فإنّ ترجمته دفعت من يتقن الفارسيّة إلى ترجمتها عنها مباشرة، كما دفعت البعض إلى تعلّم الفارسيّة لينقلوا الرباعيّات عنها كما حدث للشاعر أحمد رامى... وترجمة أحمد رامى التي غنّتها أم كلثوم جعلت اسم عمر الخيام ينتشر في العالم العربيّ بأكمله شرقاً وغرباً بين المثقّفين وعمامة الناس على حدّ سواء... وما من شكّ في أنّ فلسفة الخيام في الرباعيّات تتقاطع في بعض ملامح منها بما نجده عند الشاعر المعريّ، لا سيّما ما يدور حول مفهوم الوجود ودورة الحياة؛ فالإنسان من تراب وسيعود إليه، أو حول مبدأ الشكّ واليقين^٢، ويبدو أنّ هذا كلّهُ امتدّ إلى شعر إيليا أبى ماض ولا سيّما قصيدته (الطلاسم) التي أنشدها بعد أن اطّلع على ترجمة فيتزجيرالد للرباعيّات ومنها:

بژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١٠٨

١. م. س، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

٢. سقط الزند، للمعريّ، ص ٩٧٤ - ٩٧٥.

جئت، لا أعلم من أين؛ ولكنى أتيت، ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت.

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أُبُيت، كيف جئت كيف أبصرت طريقى لست أدري.

ولم يقتصر الأمر على أحمد رامى وإيليا أبى ماضى وإنما امتدَّ إلى جماعة الديوان

كعباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٥٤م) الذى كتب أولى مقالاته عن الرباعيات سنة

(١٩٠٨م) واتبعها بدراسات أخرى فضلاً عن معارضته إياها بعدد من الرباعيات، وعبد

الرحمن شكري (١٨٨٦-١٩٥٨م) الذى ترجم ثلاث رباعيات وكتب عنها، وإبراهيم عبد

القادر المازنى (١٨٩٠-١٩٤٩م) الذى كان أكثر تأثراً بالرباعيات من صاحبيه، وردَّ عن

الخيام تهمة النزعة الأبيقورية^١.

كذلك نلاحظ أن جبران خليل جبران قد تأثر بشعر المولوى مترجماً، وهذا واضح فى

معظم أشعاره، لا سيّما فى قصيدته المغنّاة (أعطنى النايَ وغنّ).

نذكر كذلك قصيدة خليل مطران: "مصرع بزرجهر" التى يتكلّم فيها على بزرجهر

حكيمًا، وقتله على يد الحاكم الظالم.

بالنسبة إلى شعراء الحدّثة العرب، تعرفوا شعرَ حافظ الشيرازى متأثرين بغوته، المفكّر

الألمانى. كذلك لا نكون مغالين إذا قلنا إنَّ الشعراء العراقيين الثلاثة الذين تُنسب إليهم

بدايات الشعر الحديث أى بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى ونازك الملائكة قد

تأثروا فى هذا السياق بشعر نيمى يوشيج الذى سبقهم بالخروج على وحدة الوزن والقافية،

بحوالى عشرين عامًا.

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير: على بن محمد (٦٣٠هـ): الكامل فى التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء، نشر دارالكتاب

العربى، بيروت ١٩٦٧م.

١. تأثر جماعة الديوان برباعيات الخيام، ص ٦٧ وما بعدها.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ): المقدمة، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت لا تاريخ.
٣. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ): عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢.
٤. ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (٤٢١هـ): الحكمة الخالدة (جاويدان خرد)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهوض المصرية، القاهرة ١٩٥٢م.
٥. ابن المعتز: عبدالله بن الخليفة العباسي المعتز (٢٩٦هـ) كتاب الآداب، تحقيق صبيح رديف، ط١، بغداد ١٩٧٢م.
٦. ابن المقفع: عبد الله الكاتب العباسي (١٤٥هـ): كليله ودمته، تحقيق محمد حسن نائل المرصفي، ط٥، مطبعة مصطفى محمد بمصر، لا تاريخ.
٧. ابن منقذ: الأمير أسامة (٥٨٤هـ): لباب الألباب، تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٥م.
٨. ابن نباته: جمال الدين المصري (٧٦٨هـ): شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي ١٩٦٤م.
٩. ابن النديم: محمد بن إسحق الوراق (٣٨٥هـ): الفهرست، نسخة مصورة عن طبعة فلوجل، نشر مكتبة خياط، بيروت لا تاريخ.
١٠. أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم الشاعر (٢١١هـ) ديوان أبي العتاهية، دار صادر و داربيروت، بيروت ١٩٦٤م.
١١. أبو نواس: الحسن بن هانئ (١٩٥هـ): الديوان، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت لا تاريخ.
١٢. أحمد أمين: ضحى الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت لا تاريخ.
١٣. أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، دار النهضة المصرية، لا تا.
١٤. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي.
١٥. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٧م.

١٦. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، الطبعة الثانية، مطبعة دارالكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٧م.
١٧. أحمد محمد الحوفي: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دارنهضة مصر، القاهرة ١٩٦٨م.
١٨. أردشير بن بابك: عهد أردشير، تحقيق إحسان عباس، دارصادر بيروت ١٩٦٧م.
١٩. الإصفهاني: حمزة بن الحسن (٤٢٨هـ)؛ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، الطبعة الثالثة، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م.
٢٠. الإصفهاني: علي بن الحسين أبو الفرج (٣٢٦هـ): الأغاني، ط: - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا تاريخ.
٢١. بروكلمان: المستشرق كارل: تاريخ الأدب العربي (الأجزاء ١ و ٢ و ٣)، ترجمة عبد الحلیم النجار، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، لا تاريخ.
٢٢. البغدادي: إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، نسخة مصورة عن طبعة استانبول سنة ١٩٥١م، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، لا تاريخ.
٢٣. البلاذري، أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
٢٤. الثعالبي: أبو منصور إسماعيل (٤٢٩هـ): خمس رسائل (له منها رسالتا الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد في الأعداد)، ط ١، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٣٠١هـ
٢٥. الجاحظ: كتاب الأمل والمأمول (المنسوب إليه)، ت. رمضان ششن، ط ١، دار الكتاب الجديد ١٩٦٨م.
٢٦. الجاحظ: كتاب البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دارالعارف بمصر ١٩٦٣م.
٢٧. الجاحظ: البيان والتبيين، دارالفكر للجميع، بيروت ١٩٦٨م.
٢٨. الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك (المنسوب إليه)، تحقيق أحمد زكي باشا، مكتبة المثنى بغداد [لا تا].
٢٩. الجاحظ: رسائل الجاحظ، ت. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٥م.
٣٠. ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله المدائني، شرح نهج البلاغة دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة لا تاريخ.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

٣١. ابن حمدون: محمد بن الحسن البغدادي (٥٤٢هـ): تذكرة ابن حمدون (كتاب السياسة والآداب الملوكية)، ط ١، مطبعة نهضة مصر، ١٩٢٧م.
٣٢. الخفاجي، شفاء العليل في ما في كلام العرب من الدخيل، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٠هـ.
٣٣. ابن خلكان: أحمد بن محمد (٦٨١هـ) وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م.
٣٤. دانشنامه جهان اسلام، زیر نظر غلامعلی عادل، مج ٢.
٣٥. الدينوري، أبو حنيفة (٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.
٣٦. زرکلی: خير الدين: كتاب الأعلام، المطبعة العربية، القاهرة ١٩٢٧م.
٣٧. زهاليم: المستشرق رودلف: الأمثال العربية القديمة، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ط ١، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧١م.
٣٨. ابن شمس الخلافة: جعفر مجد الملك (٦٢٢هـ): كتاب الآداب، تحقيق محمد أمين الخانجي، ط ١، مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٠م.
٣٩. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ط ٤، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
٤٠. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط ٩، دار المعارف بمصر لا تاريخ.
٤١. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٧، دار المعارف بمصر لا تاريخ.
٤٢. الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله (٣٣٥هـ): كتاب الأوراق، قسم أخبار الشعراء، جمعه ج، هيورث، مطبعة الصاوي القاهرة ١٩٣٤م.
٤٣. طه الحارجي: الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.
٤٤. الطبري: محمد بن جرير (٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى في مكتبة خياط، دار القلم، بيروت لا تاريخ.
٤٥. ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين - أمد الزين - إبراهيم الأبياري، الأجزاء - الثالث: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٢م - الرابع: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٤م.

٤٦. العسكري: الحسن بن عبدالله أبو هلال (٣٩٥هـ): كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر لا تاريخ.
٤٧. القيلي: بشار بن برد (١٦٧هـ): الديوان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، لا تاريخ.
٤٧. القرطبي: يوسف بن عبد الله النمري (٤٦٣هـ): بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق محمد مرسى الخولي، مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لا تاريخ.
٤٩. كرد علي: محمد: أمراء البيان، ط ٣، دار الكتب، بيروت ١٩٦٩م.
٥٠. كرد علي: محمد: رسائل البلغاء (اختيار وتصنيف)، ط ٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٤م.
٥١. كرستنسن: المستشرق أرثر: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م.
٥٢. لويس شيخو، المجاني في الأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لا تا. مج ١.
٥٣. الماوردى: علي بن محمد بن حبيب البصرى (٤٥٠هـ): ادب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، ط ٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٥٥م.
٥٤. المبرد: محمد بن يزيد (٢٨٥هـ): كتاب الكامل، نشر مكتبة المعارف، بيروت لا تاريخ.
٥٥. محمد غفراني خراساني: عبد الله بن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر بمصر، ١٩٦٥م.
٥٦. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط ٥، دار العودة ودار الثقافة، بيروت لا تاريخ.
٥٧. محمد محمدي: الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى (الجزء الأول) كتب الآيين والتاج، منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٤م.
٥٨. محمد نبيه حجاب: مظاهر الشعبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط ١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦١م.
٥٩. المسعودى: علي بن الحسين (٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥م.
٦٠. المسعودى: علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٤٦م.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

٦١. النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دارالكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٦٢. اليمنى: محمد بن حسين بن عمر (٤٠٠هـ): مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب، تحقيق محمد يوسف النجم، دار الثقافة، بيروت لا تاريخ.

بژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩